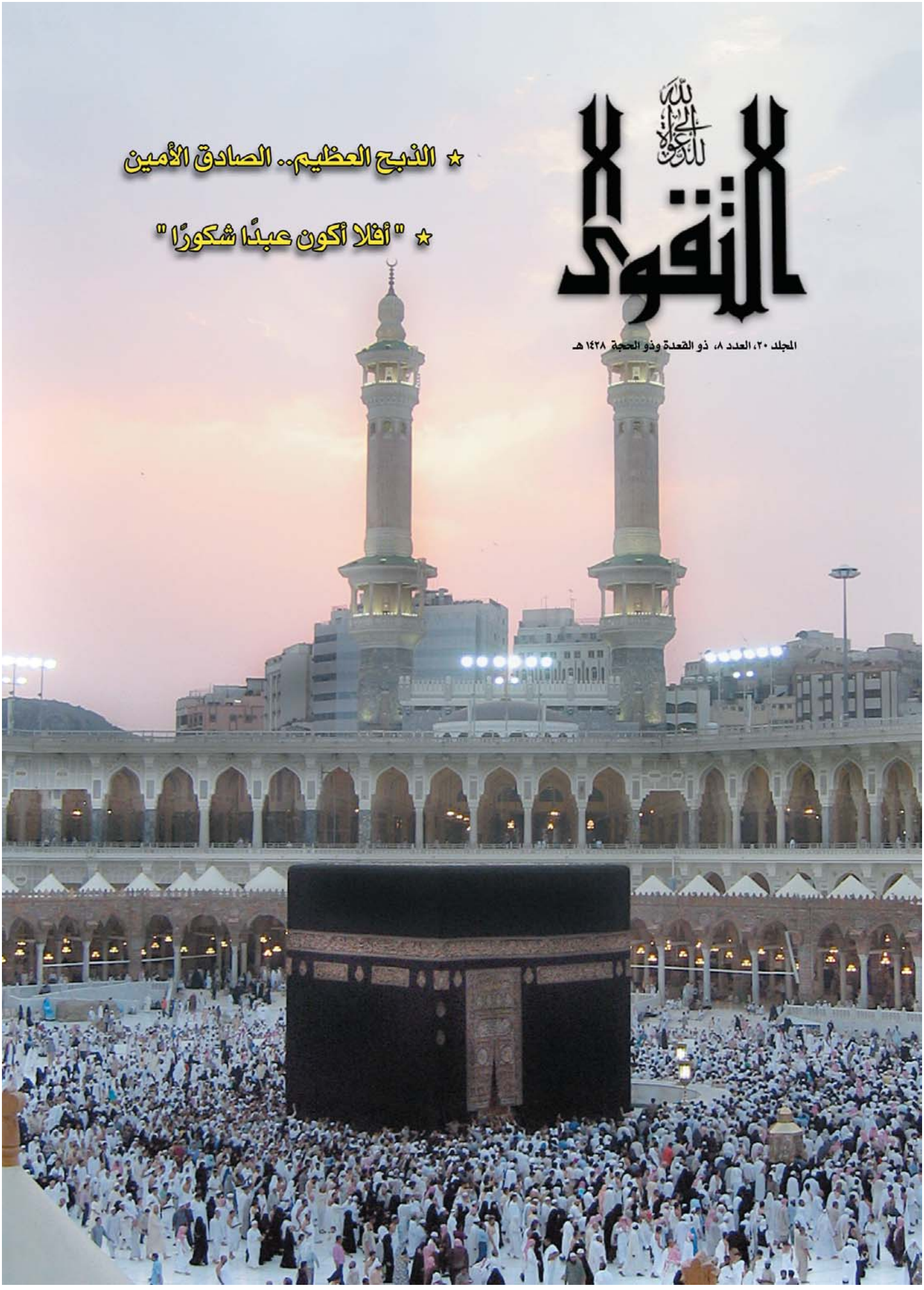

التوحيد

للدعوة إلى الله

المجلد ٢٠، العدد ٨، ذو القعدة وذو الحجة ١٤٢٨ هـ

★ الذبح العظيم.. الصادق الأمين

★ " أفلا أكون عبدًا شكورًا "

الأحمدية هي جماعة إسلامية دينية غير سياسية، هدفها العودة بالإسلام إلى صورته الأصلية التي جاء بها سيد الخلق أجمعين سيدنا محمد المصطفى ﷺ، ثم نشره في كل العالم. وقد أسس حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام الجماعة الإسلامية الأحمدية بأمر من الله تعالى سنة ١٨٨٩م في مدينة قاديان في الهند. وقد أعلن أنه المسيح الموعود والمهدي المعهود.

الجماعة الإسلامية الأحمدية تنشر الإسلام في أنحاء العالم بالطرق السلمية، وبالحجة والبرهان، وهي النموذج الأمثل في زمننا هذا للمجتمع الإسلامي القويم الذي أقامه سيدنا محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

تعمل على رفع المستوى الديني والأخلاقي وإنشاء العلاقة الودية والأخوية بين الشعوب وإحلال السلام الحقيقي في العالم وذلك على ضوء التعاليم الإسلامية الصحيحة السمحاء.

مواردها المالية من تبرعات أبنائها لا غير، حيث يتبرع كل فرد بقدر معلوم من دخله الشهري إلى جانب تبرعات أخرى ودفع الزكاة.

تُصدر الجماعة تراجم معاني القرآن الكريم بلغات عالمية شتى وكتبًا دينية وكثيرًا من المجلات والجرائد الإسلامية.

وهبها الله بفضله ثلاث محطات فضائية تبث برامجها على مدار الساعة إلى جميع أقطار الأرض مُقدمةً الإسلام الصحيح الذي أتى به سيد الخلق ﷺ.

لها في شتى دول إفريقيا وآسيا كثير من المدارس والمعاهد والمستشفيات. تعمل لخير الناس وتعليمهم وتثقيفهم ولرفع مستواهم الروحاني والمادي.

قضى مؤسسها كل حياته مجاهدا من أجل كسر صليب الشرك والكفر، واقتلاع جذور الإلحاد، وإزالة عوامل الفرقة والاختلاف بين الناس كنتيجة مباشرة لتسرب الكثير من الإسرائيليات والمفاهيم الخاطئة إلى العقائد الإسلامية.. كما اعتصر قلبه ألمًا لضياع التوحيد بين قطاع كبير من البشر الذين جعلوا الإنسان العاجز إلها، أو اتخذوا مع الله آلهة أخرى، أو أنكروا وجود الله ومالوا إلى الإلحاد. فألف حضرته بعون الله وتأييده أكثر من ثمانين كتابا دفاعا عن الإسلام من بينها ثلاثة وعشرون بلغة الضاد. وأثبت بتأييد من الله بطلان العقائد الفاسدة التي ورثها أهل الأديان الأخرى عن الآباء والأجداد، وأنشأ هذه الجماعة لتحمل اللواء من بعده، وأقام أفرادها على البر والتقوى، ورباهم على ما ربى رسول الله ﷺ صحابته الكرام من مكارم الأخلاق.

بعد انتقال حضرة الإمام المهدي عليه السلام إلى الرفيق الأعلى عام ١٩٠٨م حقق الله تعالى ما وعد به رسوله الكريم سيدنا محمد المصطفى ﷺ من عودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوة في الأمة الإسلامية، فكان مولانا نور الدين رضي الله عنه خليفته الأول، تبعه الخليفة الثاني حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه ثم تلاه الخليفة الثالث حضرة مرزا ناصر أحمد – رحمه الله تعالى – ثم تلاه الخليفة الرابع حضرة مرزا طاهر أحمد – رحمه الله تعالى – ونحن الآن في العهد المبارك لخليفته الخامس حضرة مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز.

تلك هي.. باختصار شديد.. ملامح الجماعة الإسلامية الأحمدية.

التقوى

إسلامية شهرية تصدر عن المكتب العربي
بالجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية في لندن، بريطانيا.

البريد الإلكتروني altaqwa@islamahmadiyya.net الهاتف والفاكس 0044 (0) 20 8 5421768
موقعنا عبر شبكة الإنترنت http://www.islamahmadiyya.net

المجلد العشرون، العدد الثامن –

ذو القعدة وذو الحجة١٤٢٨ هـ – كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٧ م

٢ – ٣	**الأضحى.. الاستسلام لله وذبح الأمّارة**	"كلمة "التقوى"
٤– ١١	**من دلالات "هؤلاء بناتي هن أطهر لكم"**	في رحاب القرآن الكريم
١٢	**من نفحات أكمل خلق الله سيدنا محمد المصطفى ﷺ**	أحاديث نبوية شريفة مختارة
١٣	**الأصل ضحية الروح يا أولي الأبصار**	اقتباس من كتابات لحضرة المسيح الموعود عليه السلام
١٤ – ١٩	**تأسوا بأسوة الذبح العظيم**	(خطبة الجمعة)
٢٠	**همسة**	خالد البراقي
٢١	**حكم ونوادر**	جمال أغزول
٣٢ – ٣٣	**شخصية رسول الله ﷺ وأخلاقه**	(ح ٢٠ من كتاب حياة محمد ﷺ)
٣٤– ٣٦	**العام التاسع والتسعون على وفاة مسيح الإسلام الموعود....**	قصيدة من نظم فتحي عبد السلام

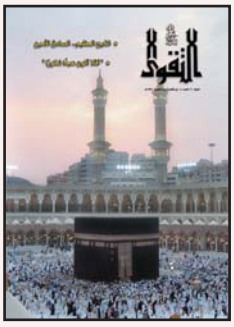

المسجد الحرام، مكة المكرمة.

(المملكة العربية السعودية)

الصورة من إهداء عُمير عليم
مدير مكتبة الصور بالجماعة

هيئة التحرير
عبد المؤمن طاهر
عبد المجيد عامر
محمد طاهر نديم

رئيس التحرير
أبو حمزة التونسي

التوزيع
مظفر أحمد

الهيئة الإدارية
نصير أحمد قمر
منير أحمد جاويد
عبد الماجد طاهر

جميع الاتصالات والمراسلات تُوجَّه إلى العنوان التالي:
The Editor Al Taqwa, P.O.Box 54094 London SW19 3XF, United Kingdom

الاشتراك السنوي ٢٠ جنيها استرلينيا أو ما يعادل ذلك بالعملة الصعبة
تكتب الحوالات المصرفية والبريدية باسم ASI.Ltd

© جميع الحقوق محفوظة للشركة الإسلامية الدولية

ISSN 1352 - 9463

الأضحى..
الاستسلام لله وذبح الأمّارة

لا شك أن عيد الأضحى يجدد في قلوبنا وقع تلك العزيمة الإيمانية العظيمة والمنقطعة النظير التي أبداها سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام استسلاما لأوامر الله تعالى، الأمر الذي يشد العزائم ويمتـــن علاقة المرء بخالقه.

لا شك أن كثيرًا من الناس يضحون في سبيل أهداف شتى ولكن ليست كل تضحية تنال رضى الله أو تكون في سبل مرضاته. ومن يمعن النظر يجد أن جميع الناس يقدّرون معاني التضحية وما تحمله من وهج في النفس.. رغم أن هناك بونا شاسعا بين هذه التضحيات والتضحية الإبراهيمية المباركة..

إن من الآباء من يضحي بنفسه في سبيل إسعاد أبنائه لوجه الله تعالى، وهناك من يضحي بناء على دافع غريزي عاطفي. وهناك من يضحي في سبيل مبادئ شتى.. لكن تضحية إبراهيم عليه السلام تبقى متميزة عن كل هذه التضحيات التي اعتاد الناس عليها.. لقد أمر الله عز وجل عبده إبراهيم عليه السلام بتضحية أعظم وأعز شيء يتعلق بوجدانه.. إذ أمره بأن يضحي بالشيء الذي يضحي الناس كلهم من أجله.. بأنفسهم! ولم يتردد طرفة عين أو يعترض على ما أمره الله به بل بادر بالامتثال لأمره عز وجل.. نعم لقد تناسى عليه السلام تلك العاطفة الأبوية الجياشة، وتناسى تلك العاطفة الزوجية التي تربطه بالسيدة هاجر، وتناسى عواطف النسل والذرية التي كانت متجسدة في ابنه الوحيد.. مع أنه عليه السلام كان قد بلغ من الكبر عتيا، ولم يكن لينتظر منه أن ينجب نسلا آخر بعد ذلك الغلام الذي كان قرة عينه. ولكن هذه العواطف لم تزحزح سيدنا إبراهيم ولم تغير شيئا من عزمه وإيمانه، مع أنه كان رقيق القلب كما قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ (هود: ٧٦) -بل نهض بعزيمة إيمانية صادقة ممتثلا لأمر الذي ناداه في الرؤيا. ثم فلننظر إلى ذلك الابن البار الذي لم يتردد قط في تسليم رقبته تلبية وفداء وطاعة لأبيه إبراهيم وإله إبراهيم: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٣)

ومن هنا تتجلى لنا تلك الروح الفدائية الطاهرة المباركة التي تمتَّع بها هذا الابن كأبيه حيث أظهر الله بهذا الابتلاء جوهرة فطرتهما التي كانت مشتركة في الطاعة

ولا يخفى على اللبيب أن في هذا الأمر إشارة غيبية خفية لأعظم عطية من الدوحة الإسماعيلية سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذي كان ذبحا عظيما على عتبة ربه في سبل مرضاته والمستسلم الكامل له عز وجل.

والاستسلام لأوامره عز وجل ﴿..يا إبراهيم قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِين *... وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٤ إلى ١٠٨)

ولا يخفى على اللبيب أن في هذا الأمر إشارة غيبية خفية لأعظم عطية من الدوحة الإسماعيلية، سيدنا محمد المصطفى ﷺ الذي كان ذبحا عظيما على عتبة ربه في سبل مرضاته والمستسلم الكامل له عز وجل. وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم بجلاء في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٣)

إن حجاج بيت الله الحرام الذين يؤدون مناسك الحج يتذكرون جانبا آخر من تضحيات إبراهيم عليه السلام حينما استجاب لأمر الله تعالى تاركا ابنه البكر وزوجته في تلك البقعة التي لا زرع فيها ولا ماء ولا أنيس، مضحيا بزوجته وفلذة كبده ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (إبراهيم: ٣٨)

إن نداءات التلبية التي تهتف بها جموع الحجاج تستعيد في نفوس المؤمنين تلك الذكرى المجيدة لأبيهم إبراهيم عليه السلام عندما قدم أعظم ضحية لله العلي الأجلّ وكأن لسان حالهم يقول: يا رب، إننا مستعدون لأن نضحي بأنفسنا وما نملكه من غال ورخيص في سبيلك، كما قدم إبراهيم عليه السلام تضحياته..

ويظهر من فلسفة الأضحية في الإسلام معاني الاستسلام لله كلية وذبح النفس الأمارة. ومن هذا المنطلق فإن في تكبيراتنا (الله أكبر) يوم العيد إيحاء.. وكأننا نذبح نفسنا الأمارة ونضحي بها في سبيل الحصول على مرضاة الله. وفي هذا الأمر إقرار ضمني بأننا رأينا في تضحية إبراهيم عظمة رب العزة وجلاله وكبرياءه..

وإنه لمن دواعي شكر الله تعالى وحمده أن أوضح لنا سيدنا أحمد عليه السلام فلسفة الأضحية وحقيقة النسك والضحايا في الإسلام في خطبة مباركة جليلة من فيض الإلهام الإلهي تجلت فيها حكمة الأضحى ومقاصده في ذبح النفس الأمارة والانقياد التام لله عز وجل. جعلنا الله وإياكم من الذين انسلخت عنهم هواجس النفس الأمارة بالاستسلام لله والانقياد لأوامره سبحانه وكل عام وأنتم بألف خير وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

من دلالات

هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ

وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ ٧٧ وَجَآءَهُۥ قَوۡمُهُۥ يُهۡرَعُونَ إِلَيۡهِ وَمِن قَبۡلُ كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨

(سورة هود)

من دروس: حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد
المصلح الموعود رضي الله عنه
الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾
(هود: ٧٠)

شرح الكلمات:

ما لَبِثَ: يقال: ما لبث أن فعل كذا: ما أبطأ في فعله أو ما تأخر عنه (الأقرب).

عجل: العجل: ولدُ البقرة، وقيل: أول سنة (أي ما كانت سنه دون عام) (الأقرب).

حنيذ: الحنيذ: المشويُّ. وفسّره أبو زيد بالنضيج؛ وآخرُ بالذي يقطر ماؤه بعد الشَيّ (أي الشواء). ونقل الأزهري عن الفرّاء: الحنيذ ما حفرتَ له في الأرض ثم غممته، وهو من فعل أهل البادية، إلى أن قال: والشواء والمحنوذ الذي قد ألقيتَ فوقه الحجارة المرضوضة بالنار حتى ينشوي الشواء شديدًا فيتهرّى تحتها (الأقرب).

التفسير:

لقد ذكرتُ من قبل أن هذه السورة تتحدث عن إبراهيم حديثًا ضمنيًا كمدخل في الموضوع الأساسي وهو

الحديث عن لوط عليهما السلام، الذي دُمّر قومه بالعذاب، لأن موضوع السورة يدور حول ذكر الأمم التي تعرضت للعذاب. وذُكر إبراهيم قبل لوط لأن الأخير كان من المؤمنين به، ونبيًا تابعًا له، مثلما كان إسماعيل وإسحاق نبيَّين تابعين له أيضاً، أو كما كان هارون لموسى، ولكنهم لم يكونوا أنبياء أُمَّتيّين، لأن النبوة كانت توهب عندئذ مباشرة، لا بفضل اتباع أحد للنبي المتبوع، أما النبوة الأمتيّة فلا توجد إلا في أمة المصطفى ﷺ حيث يكون النبي التابع له نبيًا من ناحية وأمتيا من ناحية أخرى.

وباختصار كان لوط نبيًا تابعًا لإبراهيم عليهما السلام، مؤمنًا به قبل تشرفه بالنبوة، وهاجر معه إلى الشام، ولذلك قرّر الله أن يُخبر إبراهيم أولاً بهلاك قوم لوط. لذلك نجد القرآن هنا يقدّم على ذكر لوط ذكرَ النبأ الذي تلقاه إبراهيم عن هلاك قوم لوط.

ولكن لاحظوا رحمة الله الواسعة بإبراهيم، فحيث إن النبأ المؤلم لم يكن يمتُّ إليه بصلة مباشرة، وإنما فقط لكونه نبيًا متبوعًا من قِبل لوط، لذلك خفّف الله عن إبراهيم وطأة خبر هلاك الأشرار مبشِّرًا إياه بخروج جيل صالح من نسله.

مَن هم هؤلاء الرسل الذين أخبروا إبراهيم بهلاك قوم لوط عليهما السلام؟ يرى بعض المفسرين أنهم أناس، بينما هم ملائكة عند الآخرين (ابن كثير، وبيان القرآن). وأرى أنهم بشرٌ سُمّوا ملائكة لصلاحهم، كما وُصف سيدنا يوسف ملكًا في القرآن ﴿إِنْ هذا إلا مَلك كريم﴾ (يوسف: ٣٢).

وهناك آية تعارض كونهم ملائكةً وهي قوله تعالى ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنـــزّلنا عليهم من السماء مَلَكًا رسولاً﴾ (الإسراء: ٩٦). تخبرنا الآية بأمرين؛ الأول: أن الملائكة يأتون كرسل إلى الصلحاء لا إلى الأشرار. إذن فالآية تعارض الزعم أنهم ملائكة تمثّلوا في صور إنسانية لأهل القرية الأشرار عندما ذهبوا إلى لوط.

والثاني: أن الإنسان الصالح أيضًا يسمّى مَلَكًا، لأن الآية استخدمت كلمة الملائكة بمعنى الناس، إذ لو كان أهل الأرض ملائكة حقيقيين لما كان هناك حاجة لبعث الرسول إليهم، لأن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

ولو قيل: لماذا لم يزفّ الله البشرى لإبراهيم مباشرةً دون واسطة هؤلاء الرسل؟ فالجواب أنه قد جرت سُنّة الله فيما يتعلّق بالأنباء "أن المرء يَرى ويُرى له" (ابن ماجه، تعبير الرؤيا).. بمعنى أنه تعالى يخبر المؤمن بمشيئته بطريق مباشر وأيضًا بواسطة الآخرين. وبما أن هؤلاء الرسل كانوا متجهين إلى لوط بهدف خاص، وكان عليهم أن يمروا على إبراهيم أيضاً ليخبروه بالعذاب، فلذا زفّ الله بواسطتهم البشرى لإبراهيم حتى تخفّ صدمته بخبر العذاب.

أما الهدف الخاص الذي من أجله أُرسل هؤلاء إلى لوط بنبأ هلاك قومه، فلا نجد إليه أية إشارة يقينية في كلام الله تعالى، إلا أنني أرى لذلك سببًا، وهو أن إبراهيم ولوطاً عليهما السلام كانا غريبين في المنطقة، إذ كانا قد هاجرا إليها من بلاد أخرى، فمن الممكن تماماً أن يكون الله تعالى قد أوحى إلى بعض صلحاء تلك البلاد يخبرهم بهلاك القوم، لكي يأخذوا لوطاً إلى مكان محفوظ قبل حلول العذاب.

ولو قيل: هل هناك نظير لمثل هذا الموقف حيث لا يُخبَر النبيُّ بهلاك قومه إلا بواسطة الآخرين، ويفاجئ العذاب القوم دون أن يؤتوا فرصة للتوبة؟ فالجواب: لا. إن هذا لم يحدث قط، ولم يحدث لقوم لوط

أيضاً. لأنني لا أقصد من قولي هذا أنه تعالى أخبره بهلاك القوم بواسطة هؤلاء الرسل فقط، وإنما أقصد أنه أخبره عن طريقهم باقتراب موعد العذاب فقط. كان لوط قد تلقى من الله تعالى نبأ هلاك القوم من قبل وكان قد أنذرهم منه، وذلك بدليل قوله تعالى ﴿كذّبتْ قبلهم قوم نوح وأصحابُ الرسّ وثمود * وعاد وفرعون وإخوان لوط* وأصحاب الأيكة وقومُ تُبَّع. كلٌّ كذّب الرسل فحقَّ وعيدِ﴾ (ق:١٣-١٥). وهذا يؤكد أن هذه الأمم قد تلقّت الوعيد من رُسلها كذلك تلقى إخوان لوط الإنذار بالعذاب منه. وأما هؤلاء الرسل فأخبر الله لوطاً عن طريقهم بموعد اقتراب العذاب، وذلك تخفيفاً عنه ولكي يصطحبوه إلى مكان محفوظ من العذاب.

ومما يدلّ أيضاً على أنهم كانوا قد أُنذروا من قبل هذا قولُ الرسل للوط: ﴿بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ (الحِجر: ٦٤).. أي جئناك لنخبرك بموعد العذاب الذي كنت تُنذرهم به بينما هم كانوا يمارون.

أما قوله تعالى: (قالوا: سلاماً، قال: سلام) فهناك محذوف قبل (سلاما) والتقدير: نسلّم عليك سلاماً. وأما قول إبراهيم لهم: (سلام) فهو إما مبتدأ خبره محذوف أي: سلام عليكم، أو هو خبرٌ لمبتدأ محذوف، أي: جوابي سلام.

ما أروع ما حرص عليه إبراهيم من آداب التحية والسلام مما يعلّمنا القرآن بقوله ﴿وإذا حُيّيتم بتحية فحيُّوا بأحسنَ منها أو رُدّوها﴾ (النساء: ٨٧).. فالرسل دعوا له بقولهم (سلاماً)، وهي جملة فعلية كما شرحت آنفاً، فيرد عليهم إبراهيم بأفضل مما دعوا له حيث قال (سلام)، وهي جملة اسمية، والجملة الاسمية أقوى وأشد معنىً وتأكيداً من الجملة الفعلية لأنها تدل على الدوام والاستمرار.

كما تتضمن الآية درسًا آخر في موضوع الضيافة. فما أن وصل الضيوف بيت إبراهيم حتى قام لتوِّه فذبح عجلاً وقدمه إليهم شواءً طيباً، دون أن يسألهم ما إذا كانوا قد تناولوا الطعام، أو ما إذا سيأكلون الآن أم بعد قليل؟.

إن الضيافة من الآداب الإسلامية الأساسية، ولكن الواقع المؤسف هو أن المسلمين أخذوا يتهاونون فيها بتأثير الأمم الأخرى، مع أن سنة النبي ﷺ في هذا الصدد لا تزال أسوة حسنة لنا. لقد كان المصطفى ﷺ متحليًا بجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة بشكل عام، ولكن إكرام الضيف كان من صفاته البارزة بحيث لمسته زوجته الأولى السيدة خديجة رضي الله عنها بوجه خاص. فعندما نزل عليه الوحي أول مرة ورجع إلى البيت فَزِعاً، وعبّر لزوجته عن قلقه مما حدث، طَمأنته بقولها: "كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرَحِمَ، وتحمل الكَلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق."(البخاري، بدء الوحي).

لقد رمى بعض الجهال سيدنا إبراهيم عليه السلام بالإسراف والتبذير لكونه ذَبَحَ عجلاً كاملاً ليقري ثلاثة أشخاص فقط! ولكن الحق أن هذا ليس من الإسراف في شيء، لأنه كان يعيش في البادية حيث لم يكن هناك أي جزّار أو محلٌّ للحاجيات اليومية كي يشتري منه ما يلزم ليعدّ لهم طعاماً مناسباً. لقد كان بنفسه يعيش على تربية الماشية، فما كان بوسعه – إن أراد إكرام ضيوفه – إلا أن يذبح ما يتيسر له من شاة أو عجل ويجهزه ويقريهم به.

﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (هود: ٧١)

شرح الكلمـــات:

نَكِرَهم: نَكِرَ الأمرَ ينكَر نَكْرًا ونُكرًا ونكورًا ونكيرًا: جَهله. نكر الرجلَ: لم يعرفه (الأقرب)

أوجَسَ: الرجلُ إيجاسًا: أَحَسَّ وأضمَرَ (الأقرب)

خيفةً: خاف يخاف خوفًا وخيفةً: فزع. الخيفة: الفزعُ؛ الحذرُ؛ ضدُّ الأمن (الأقرب)

التفســـير:

قوله تعالى ﴿وأوجس منهم خيفةً﴾ لا يعني أن إبراهيم عليه السلام أُصيب بالذعر والهلع منهم، بل المراد أنه قلق في نفسه أن يكون قد قصّر في إكرام ضيوفه مما كرّه إليهم أكل طعامه. ولكنه لم يُبدِ قلقه لهم بلسانه، إذ ليس من اللباقة أن يقول أحد لضيفه: هل قصّرت في ضيافتك، لأن هذا قول محرج.

قوله تعالى (نَكِرَهم) يعني أن إبراهيم ظنهم من المسافرين العاديين، ولكنه عندما وجدهم لا يأكلون أدرك على الفور أن وراءهم هدفاً لم ينتبه إليه، لأنهم لو كانوا مسافرين عاديين لقبلوا ضيافته، فإن المسافر في مثل هذه البرية لا يستطيع العيش بدون الاستجابة لمثل هذه الدعوة.

ولكن هؤلاء أيضا لاحظوا قلق إبراهيم وحيرته من أمارات وجهه، فهدّأوا من روعه قائلين: لا تقلق، فإننا لم نترك الطعام لتقصير منك في ضيافتنا، وإنما جئناك حاملين خبر العذاب لقوم لوط لذلك لا نرى من اللائق أن نأكل بهذه المناسبة.

وهذه الآية أيضا تؤكد أنهم ما كانوا ملائكة، بل بشراً، وإلا لما قدّموا هذا العذر، بل قالوا: نحن ملائكة ولا نأكل.

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾

(هود: ٧٢)

شرح الكلمـــات:

ضحكت: ضحك يضحك ضَحكا وضِحكا وضَحِكًا: ضدُّ بكى. وضحك الرجل ضَحَكًا: عَجِبَ أو فَزِعَ. (الأقرب) وَضحِكَ: فزِع، وبه فَسّر الفرّاء الآية. (تاج العروس). ويُستعمل الضحك في السرور المجرد نحو: (مُسفِرة ضاحكة)، واستُعمل للتعجب المجرد تارة (المفردات).

التفســـير:

كانت زوجة إبراهيم تسمع الحوار الجاري بين إبراهيم وضيوفه، فلما سمعت خبر العذاب لقوم لوط فزعت وتألّمت لهلاكهم. ففرح الله تعالى بفعلها هذا، وبشّرها بحفيد اسمه يعقوب من ابنها إسحاق الذي سبق أن تلّقت نبأ ولادته قبل قليل بواسطة الضيوف. لقد أشفقتْ على خلق الله جل شأنه، فبشّرها الله بذرية سوف ترتقي في سلم الخيرات والبركات.

ما أوسعَ رحمة الله تعالى، حيث إن الإنسان إذا أبدى عطفًا صادقًا على خلقه، ولو كانوا ممن يتعرضون للعذاب، فإنه تعالى يقدر عمله هذا وينظر إليه بحب وإعجاب.

كما أن الآية تحل مسألة هامة أخرى. يقول المسلمون إن إسماعيل هو الذبيح أي الابن الذي أراد إبراهيم ذبحه، ويرى النصارى أنه إسحاق عليهم السلام (التكوين ٢٢)، ويمكن أن ندحض زعمهم هذا بالشواهد التاريخية، إلا أن هناك من المسلمين من يوافقون المسيحيين في الرأي خطأً (انظر تفسير الرازي، سورة الصافّات)، ولكن الواقع أن هذه الآية وحدها تكفي لإصلاح خطئهم، لأنها صريحة في أن الله تعالى كان قد أخبر إبراهيم حتى قبل ولادة ابنه إسحاق أنه سوف يُرزَق أولاداً ويكون يعقوب

من بينهم من المقربين إلى الله تعالى. فكيف يُعقل أن يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه، الذي سبق أن أُنبئ عنه أنه سيكبر ويعيش طويلاً حتى ينجب ابنًا بارّاً مقربًا لدى الله؟ ثم كيف يُعقل أن يكون إبراهيم أيضًا قد نسي كل هذه البشارات والوعود الإلهية ويستعد لذبحه؟ فإذا كان يرى أن رؤيا الذبح تتعلق بإسحاق فلِمَ لم يتوسل إلى ربه قائلا: يا رب، لقد سبق أن بشّرتني في ابني هذا أنه سيعيش طويلاً حتى يُرزق ابنًا مقربًا لديك، فكيف تأمرني الآن بذبحه؟ فما هو المراد الحقيقي من أمرك هذا يا إلهي؟!

فالآية تؤكد بكل وضوح أن إسماعيل هو الابن الذبيح، فلا داعي لنا لاعتبار إسحاق ذبيحًا، متأثرين مما ورد في كتب اليهود المحرفة وكأن ما جاء فيها هو الصحيح.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ (هود: ٧٣)

شرح الكلمات:

يويلتى: هي كلمتان (يا) و (ويلتى). وويلتى أصلها: ويلتي. والويلة: الفضيحة؛ البلية. (الأقرب)

عجوز: العجوز: المرأة المسنة لعجزها عن أكثر الأمور وهو وصفٌ خاص بها (الأقرب)

بعلي: البعل: ربُّ الشيء، يقولون: مَن بعلُ هذه الناقة؟ أي: ربُّها. الزوجُ والمرأة بعلٌ وبعلةٌ (الأقرب)

التفسير:

ليس المراد من الآية أن زوجة إبراهيم تعجبت من الخبر تكذيبًا له.كلا، إذ لا يُتوقع حتى من امرأة مؤمنة عادية أن تتعجب من شيء باعتباره مستحيلاً على القدرة الإلهية، فكيف يُتوقع من زوجة نبي أن تُنكر قدرة الله تعالى، رغم رؤية آيات الله الكثيرة من قبل. الواقع أنها تعجبت إكبارًا لنعمة الله عليها، لا إنكارًا لقدرته عز وجل. وقد ذُكر مثل هذا العجب من إبراهيم أيضا في موضع آخر من القرآن الكريم، ولكنه بنفسه فسَّر عجَبه مبينًا بأنني أتعجب إكبارًا للنعمة الإلهية لا إنكارًا لها أو قنوطا منها حيث قال للرسل المبشرين له بالابن: ﴿أَبَشَّرتموني على أن مسَّني الكِبَر فبِمَ تبشرون* قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين* قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون﴾ (الحِجر: ٥٥ – ٥٧).

فكيف يُعقل أن يأمر الله إبراهيم بذبح ابنه، الذي سبق أن أُنبئ عنه أنه سيكبر ويعيش طويلاً حتى ينجب ابنًا بارّاً مقربًا لدى الله؟

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللهِ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود: ٧٤)

التفسير:

الشيعة لا يعتبرون زوجات النبي ﷺ من أهل بيته (تفسير القمي، الأحزاب، قوله تعالى: ليُذهب عنكم الرجسَ أهلَ البيت).

ولكن القرآن الكريم قد أطلق هنا "أهل البيت" على زوجة إبراهيم وحدها، التي لم تكن قد وَلَدت بعد أي ولد. فالحق أن القرآن الكريم

كلما استخدم هذه الكلمة قصد بها الزوجة أيضا.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ (هود: ٧٥)

شرح الكلمات:

الروع: الفزع - راعَ: فزِعَ (الأقرب)

التفسير:

لم يكن خوف سيدنا إبراهيم على نفسه، وإنما على قوم لوط عليه السلام، ومثل هذا الخوف لا يقدح في شأن النبي، بل هو دليل على عظيم تقواه وسموّ أخلاقه. فأول ما سمع إبراهيم نبأ هلاك القوم أصابه الفزع وتحير في أمره، ولكنه لما تلقى البشارة من الله بأنه سوف يعوّضه بأمة أفضل من الأشرار الهالكين خفّ همه وهدأ باله برؤية هذه المحبة الإلهية، فتشجع وبدأ يتوسل إليه عز وجل مسترحمًا لقوم لوط.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ * يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ (هود: ٧٦ - ٧٧)

شرح الكلمات:

أوّاه: الأوّاه: الكثير التأوُّه إشفاقًا. (الأقرب)

منيب: أناب إليه: رجع إليه مرة بعد مرة. (الأقرب)

التفسير:

ما أكثرَ ما كان إبراهيم حظوةً لدى الله، فإنه تعالى لم يقل له: اسكتْ فإنني لن أسمع لدعائك، بل قال له في لطف: دعك يا إبراهيم من هذا السؤال، فقد حان الآن ميعاد ربِّك وقد جف القلم، ولا رادَّ لقضاء الله.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ (هود: ٧٨)

شرح الكلمات:

سِيءَ: ساءَه: فَعلَ به ما يكرهه، أو أحزنه (الأقرب) وسِيءَ: فُعل به المكروه.

ضاق بهم ذَرْعًا: ضاقَ به ذَرْعًا: ضعُفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مَخلصًا. وأصل الذَرْع بسط اليد، فكأنك تريد: مددتُ يدي إليه فلم تَنَله. وأراد بالذراع في قوله: (ولكن كان أرحَبَهم ذراعا) النَفَس. (الأقرب)

يوم عصيب: شديد الحر، أو شديد (الأقرب).

التفسير:

أي أن الرسل عندما وصلوا إلى لوط عليه السلام عانى منهم المشقة، ولم يجد من إصرارهم مَخْلصًا، أو تضايق من معاملتهم حيث لم يفلح فيما أراد منهم.

يقول بعض المفسرين بأن الرسل لما نزلوا ضيوفاً على لوط حاول التخلص منهم، ولكنهم تطفلوا عليه بإلحاح شديد فتضايق من ذلك (ابن كثير)، ولكن هذا الزعم باطل تماما. وأرى أن ما تذكره التوراة في هذا الصدد هو الصحيح (الخروج ١٩)، وإليه تشير الآية. الواقع أن الرسل حينما وصلوا إلى قرية لوط دعاهم إلى بيته، ولكنهم لم يقبلوا دعوته، كيلا يشقوا عليه ويسببوا له الحرج. ولكنه ألحّ عليهم فأصروا على الإنكار، فاستاء من ذلك وتضايق، وهذا ما يذكره الله هنا، ليكشف لنا ما كان يتحلى به نبيه من خُلُق إكرام الضيف، وليس في ذلك -كما ظن البعض- أدنى إشارة إلى بخله وسوء خلقه.

﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (هود: ٧٩)

فلو كانوا فرحين بمقدمهم وهم يُضمرون الفاحشة بهم لكانوا قد ألحوا عليه بإحضار المسافرين إلى القرية بكثرة، ولكنهم على النقيض من ذلك يقولون له في غضب: ألم نمنعك من إحضار الغرباء.

شرح الكلمات:

يُهرَعون: أُهرِعَ الرجل (مجهولا): أُرعِدَ من غضب أو ضعف أو خوف أو برد؛ أُعجِلَ على الإسراع، فهو مُهرَع. وفي اللسان: الهَرَع والهراع والإهراع: شدة السَوْق. وقال أبو عبيد: أُهرع الرجلُ: إذا أتاك وهو يرعد من البرد. أقبَلَ الشيخ يُهرَع أي أقبلَ يُسرع مضطربًا (الأقرب)

التفسير:

يبدو من الآية أن لوطا عليه السلام خاف على الرسل أن يتعرض لهم قومه بمكروه، لأنهم كانوا أشرارا بالعموم. ولا نعني بالشرّ هنا شرّاً جنسيًا كما زعم بعض المفسرين، إذ قالوا بأن الرسل كانوا ملائكة تمثّلوا للقوم على صور فتيانٍ مُرْدٍ ذوي جمال وبهاء، وعندما رآهم قوم لوط أعربوا عن سرورهم وجاءوا مسرعين لفعل الفاحشة بهم (البحر المحيط وابن كثير). لكن هذا الظن باطل كليةً، لأن الله تعالى قد وضح الأمر في موضع آخر من القرآن الكريم حيث يحكي قولهم للوط ﴿أولم نَنْهَك عن العالمين﴾ (الحجر: ٧١).. أي ألم نمنعك من اصطحاب الأجانب إلى قريتنا. فلو كانوا فرحين بمقدمهم وهم يُضمرون الفاحشة بهم لكانوا قد ألحوا عليه بإحضار المسافرين إلى القرية بكثرة، ولكنهم على النقيض من ذلك يقولون له في غضب: ألم نمنعك من إحضار الغرباء.

ولو قيل: لقد ورد في مكان آخر من القرآن الكريم ﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ (الحجر: ٦٨).. أي جاءه قومه فرحين بقدوم الأجانب لأن الفرصة قد سنحت لفعل الفاحشة بهم، فالجواب: إنهم لم يفرحوا بنية الفاحشة بهؤلاء الضيوف، وإنما فرحوا لأنهم وجدوا في ذلك حجة يبررون بها معاقبة لوط، حيث قالوا: اليوم قد وقع هذا في قبضتنا وسوف نسوّي معه الحساب.

والواقع أنه في قديم الزمان كانت لكل مدينة أو لمجموعة من القرى حكومة مستقلة خاصة، ذات طابع جمهوري، فأحيانًا كان يحكمها ملك أو جماعة من علية القوم. وهكذا كان الحال بالنسبة لقريتي سدوم وعموراء اللتين بُعث إليهما سيدنا لوط عليه السلام (التكوين: ١٤). وقد ورد في التلمود – وهو كتاب يضم الروايات التاريخية اليهودية– أن أهل القريتين كانوا يقطعون على الناس طرقهم وينهبون أموالهم (الموسوعة اليهودية، Sadom). والبديهي أن الأمة التي لا يأمن جيرانُها بوائقَها وإيذاءَها لا بد أن تعيش في خوف دائم من جانبهم.

وتذكر التوراة أنهم كانوا على حرب مع الجيران (التكوين: ١٤)، ومن

أجل ذلك كانوا لا يسمحون للغرباء بدخول القرية، مخافة أن يفتحوا أبوابها بالليل، فيفاجئهم العدو وهم نائمون. وكان سيدنا لوط يُكرم الضيوف عملاً بسنة الأنبياء عليهم السلام، فكان يستضيف المسافرين في بيته خَشيةَ أن يسلبهم القوم إذا باتوا في الخارج. وكان قومه ينهونه عن ذلك كما يدل على ذلك قولهم له ﴿أو لم نَنْهَك عن العلمين﴾ (الحجر: ٧١). فعندما جاء بالرسل هذه المرة استشاطوا غضبًا لمخالفة أوامرهم، وفرحوا واستبشروا أنهم وجدوا فرصة لمعاقبته ولحلّ القضية نهائيًا. ولما كان لوط يعرف سوء معاملتهم للضيوف الأجانب خاف أن يسيئوا إليهم، فقال لقومه مهدّئًا ثورتهم: إن بناتي هؤلاء اللاّتي يَعِشْن بين ظهرانيكم هن أطهر شهادةً على براءة ساحتي.. أي لا تتعرضوا للضيوف لأنكم إذا طردتموهم هكذا مهانين فسوف تجلبون عليكم الفضيحة والعار أمام الآخرين. وأما خوفكم من أنني أتآمر عليكم مع الأعداء فلا داعي لذلك، لأن بناتي هؤلاء يشكّلن ضمانًا يجب أن يُطمئنكم – مع العلم أنه كانت للوط بنتان متزوجتان بين القوم – إذ تستطيعون بكل سهولة أن تنتقموا مني بمعاقبتهما، دون أن تُفتضحوا أمام العالم.

وقد هرَأَ بعض المفسرين وقالوا بأن سيدنا لوطاً عليه السلام كان قد قدّم للقوم بنتين له ليُشبعوا بهما رغبتهم الجنسية ولا يتعرضوا للضيوف (تفسير فتح البيان)، وقد كتبوا هذا متأثرين بما ورد في التوراة. ولكن هذا المعنى باطل تمامًا ولا يليق حتى بشخص رذيلٍ دَعْكَ أن يصدرعن نبي من أنبياء الله الكرام، وهم أكثر الناس غيرة وحمية. الواقع أنه لا يقترح مثل هذا الاقتراح حتى من يرتكبون الفواحش عموماً. فلا ريب أن هؤلاء المفسرين قد وقعوا في الخطأ بسبب تأثرهم بالتوراة. لأن القرآن الكريم لا يقول أبداً بأنه قدّم بناته لهم من أجل أن يفعلوا بهن الفاحشة، وإنما حاول بذلك تهدئة أهل قريته قائلا: ما دام عيالي وأولادي يعيشون بينكم وتحت حكمكم فكيف ساغ لكم أن تسيئوا بي الظن وتعتبروني عدوًا لكم يريد التآمر مع الأعداء. فافهموا قصدي واعملوا بنُصحي، فهذا خير لكم، ولا تفضحوا أنفسكم بإهانة الضيوف.

وقد قال بعض المفسرين إنه عرض على القوم بناته للزواج لا للفاحشة! (فتح البيان). ولكن هذا الرأي أيضا لا يبدو سليماً لأن بناته كُنَّ متزوجات بين القوم من قبل بحسب بيان التوراة (التكوين: ١٩).

ولو سلّمنا جدلاً أنه كانت له بنات عذارى إلى جانب المتزوجات فلا تنحل المشكلة أيضا، إذ ليس من المعقول أن يأتيه أهل المدينة طامعين في ضيوفه الرجال للفاحشة، فيقول لهم لوط: حسنًا، فليتزوج بعضكم ببناتي هؤلاء!

ولما كان سيدنا لوط شيخًا كبيرًا فقد يكون قوله هذا مجازًا، حيث اعتبر زوجات المعارضين كبناته فقال: إن بناتي هؤلاء – أي زوجاتكم – خير لكم وأطهر، فلماذا تعرضون عن الطريق السليم وتقعون في الفاحشة.

ما دام عيالي وأولادي يعيشون بينكم وتحت حكمكم فكيف ساغ لكم أن تسيئوا بي الظن وتعتبروني عدوًا لكم يريد التآمر مع الأعداء.

من نفحات أكمل خلق الله سيدنا محمد المصطفى ﷺ

عن ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. (سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد)

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً .... وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ. (صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ. (صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب)

عن أبي هُرَيْرَةَ قال قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا يُعْطِيهِ أَوْ يَمْنَعُهُ. (صحيح مسلم، كتاب الزكاة)

الأصل ضحية الروح يا أولي الأبصار

مقتبس من كتابات

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني

الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام

أيها الناس قوموا لله زرافات وفرادى فرادى، ثم اتقوا الله وفكروا كالذي ما بخل وما عادى، أليس هذا الوقت وقت رحم الله على العباد، ووقت دفع الشر وتدارك عطش الأكباد بالعهاد؟ أليس سيل الشر قد بلغ انتهاءه، وذيل الجهل طول أرجاءه، وفسد الملك كله وشكر إبليس جهلاءه؟ فاشكروا الله الذي تذكركم وتذكر دينكم وما أضاعه، وعصم حرثكم وزرعكم ولعاعه، وأنزل المطر وأكمل أبضاعه، وبعث مسيحه لدفع الضير، ومهديه لإفاضة الخير، وأدخلكم في زمان إمامكم بعد زمان الغير.

أيها الإخوان.. إن زماننا هذا يضاهي شهرنا هذا بالتناسب التام، فإنه آخر الأزمنة وإن هذا الشهر آخر الأشهر من شهور الإسلام، وكلاهما قريب من الاختتام، في هذا ضحايا وفي ذلك ضحايا، والفرق فرق الأصل وعكس المرايا، وقد سبق نموذجها في زمن خير البرايا، والأصل ضحية الروح يا أولي الأبصار، وإن ضحايا الجدايا كالأظلال والآثار، فافهموا سر هذه الحقيقة، وأنتم أحق بها وأهلها بعد الصحابة. وإنكم الآخرون منهم ألحقتم بهم بفضل من الله والرحمة، وإن سلسلة الأزمنة ختمت على زماننا من حضرة الأحدية، كما ختمت شهور الإسلام على شهر الضحية، وفي هذا إشارة مخفية لأهل الرأي والرؤية، وإني على مقام الختم من الولاية، كما كان سيدي المصطفى على مقام الختم من النبوة. وإنه خاتم الأنبياء، وأنا خاتم الأولياء، لا ولي بعدي، إلا الذي هو مني وعلى عهدي. وإني أرسلت من ربي بكل قوة وبركة وعزة، وإن قدمي هذه على منارة ختم عليها كل رفعة، فاتقوا الله أيها الفتيان، واعرفوني وأطيعوني ولا تموتوا بالعصيان...

(الخطبة الإلهامية، الخزائن الروحانية ج ١٦ ص ٦٦ – ٧٠)

تأسوا بأسوة الذبح العظيم

خطبة الجمعة

التي ألقاها حضرة مرزا مسرور أحمد "أيده الله بنصره العزيز" الخليفة الخامس لسيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام في ١١/ ١/ ٢٠٠٦م في المسجد المبارك بقاديان، الهند.

تعريب: عبد المجيد عامر وطاهر نديم

بعد التشهّد والتعوّذ وتلاوة سورة الفاتحة تلا أمير المؤمنين حضرة مرزا مسرور أحمد قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٣-١٠٩)

اليوم هو عيد الأضحى المبارك ويقال عنه أيضا العيد الكبير. والذين لديهم قدرة مادية واستطاعة جسمية ولا يحول حائل دون وصولهم؛ فإنهم يؤدون فريضة الحج في "مكة" المكرمة. ولكن في "باكستان" وبعض البلاد الإسلامية الأخرى؛ فإن الأحمديين رغم المقدرة المادية لا يستطيعون أداء هذه الفريضة بسبب الحظر الذي تفرضه هذه الحكومات.

إن هذه الفريضة تؤدى في أيام الحج إحياءً لذكرى تضحية سيدنا "إبراهيم" وابنه "إسماعيل" عليهما السلام وزوجته السيدة "هاجر".. تلك التضحيات التي أحيا الله تعالى ذكرها في القرآن الكريم. والآيات التي تلوتها آنفًا تبين تلك التضحيات التي قامت بها هذه الأسرة.

يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ* فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ* وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ* قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ* وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ* وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي

الْآخِرِينَ﴾..

فانظروا كيف استعدَّ الأب أن يضحي بابنه البكر والوحيد يومها بسبب رؤياه.. انظروا أسوة هذا النبي العالية. وتفكروا في اشتراك هذا الابن أيضًا في التضحية لكي ينال ثواب الامتثال لأمر الله تعالى.

لقد قال الأب لابنه إنني قد رأيت الرؤيا ملمح أنه أمرٌ إلهي.. فقل لي ما رأيك أنت؟ فأجابه الابنُ جوابا حقق معايير بالغة الرفعة في التضحية والعبودية. فقال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾.. إنني من ذريتك وتربيت على يدك.. وسوف أضرب مثلا في التضحية.. لا رَفْضَ من ناحيتي.. فخذ السكين وضعه على عنقي ولسوف ترى أنني سوف أحذو حذو الصابرين حقا.. وسوف أقدم تلك الأُسوة التي ستبقى حيةً إلى يوم القيامة.

إن الله تعالى يوقع الناس في الابتلاء والاختبار حتى يقدموا التضحيات، ومن ثم يقدم الله تعالى هذه التضحيات أُسوة للعالمين. وهذه التضحيات وتلك الابتلاءات تقرب هؤلاء الناس منه عز وجل أكثر فأكثر.. وكذلك يقع عليهم نظره عز وجل بالحب أكثر من ذي قبل.

فهنا: وعندما رأى الله تعالى أن عبديه قد استعدا لما أمرهما.. قال الله تعالى مخاطبًا إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾.

إنهما لم يصدقا الرؤيا فحسب؛ وإنما حققا في الماضي أيضا معايير عليا في التضحية.

وكان معنى كلام الله:

إن هذه تضحية لمرة واحدة، ويمكن أن تذبحا بدلاً من ذلك كبشًا.. ولكن هناك تضحيةً عظيمةً قد قدمتماها.. وهي قبول العيش في مكان لا ماء فيه ولا زرع ولا أي شيء آخر ذا نفع، بل لا توجد فيه إلا المخاطر، وقد صرتم بها من المقربين..

إن أي إنسان يمكنه أن يبقى لفترة معينة في مثل تلك الظروف، أما أن يذبح مشاعر نفسه كل حينٍ وآن ويعيش دائمًا محاطًا بالمخاطر.. فهذا في غاية الصعوبة. إن هذه التضحية قد قدمها سيدنا إبراهيم وإسماعيل والسيدة هاجر عليهم السلام.. وقدموا أسوة عظيمة بحيث أننا في البلد الحرام نؤدي مناسك الحج متعمقين ومتدبرين في ذكرى هذه التضحيات.. وكذلك يقدم المسلمون الأضاحي. ولكن تذكروا أن الأضحية الظاهرية ليست هي التي تجعل المرء مُقربًا من الله تعالى.

هذه التضحية العظيمة قد حدثت قبل ٢٧٠٠ أو ٢٨٠٠ سنة قبل النبي ﷺ؛ إلاَّ أن القرآن الكريم قد أنبأنا القول الحق عن حدوث تلك التضحية العظيمة التي قدمتها هذه الأسرة وبصورة واضحة. وإننا نذهب للحج ونحتفل بذكرى هذه التضحيات في يوم العيد.. ولكننا لا نستطيع أن نوفيها حق قدرها. وعلينا أن نتحلى بتلك التقوى التي كانوا يتحلون بها.

لقد كانت السيدة "هاجر" تتحلى بحليّ التقوى.. عندما قالت متوكلةً على الله تعالى: فإنه تعالى لن يضيّعنا لما قال لها سيدنا "إبراهيم" أنه يتركها بأمرٍ من الله تعالى في هذه الفلاة. ويجب أن ننشئ مثل هذه التقوى في قلوبنا نحن أيضًا.

لقد رأيتم ورأى العالم كله ورأينا نحن أيضا أن الله تعالى لم يضيعهم أبدًا.. وبعث من ذريتهم نبيًّا عظيمًا هو خاتم الأنبياء.. ولا أحد يمكن أن يصل حتى إلى ارتفاع قدميه. وهذا النبي أيضًا قد حقق معايير في التضحيات أكثر من الجميع.. وواصل تقديمها إلى آخر لحظة من حياته الطاهرة وأوصانا أيضًا بذلك. هذا هو النبي العظيم وهو الذبح العظيم الذي ولد بعد ذلك من نسل إسماعيل، والذي من بركة

أسوته القدسية ﷺ قد وفق الله تعالى الصحابة أن يتأسوا به ويقدموا تلك التضحيات العظيمة المعروفة.

نحن ندَّعي اليوم أننا ننتمي إلى ذلك النبي العظيم ﷺ الذي كان خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.. فينبغي أن نتفكر في أنفسنا: هل نحتفل بالعيد لمجرد الاحتفال؟ هل نذبح فقط لكي نأكل؟ وهل نشتري الذبائح السمينة لكي نُري الناس أننا أثرياء؟ إننا يجب أن نحتفل بذلك العيد ونبحث عن تلك الأضحية التي تُذَكِّرُنا بتلك التضحية العظيمة، ومن ثَمَّ تجعلنا مُقربين إلى الله تعالى. فإذا كانت التضحيات تبعدنا عن التقوى؛ فإن الله تعالى لا يكترث بها، إن الله سبحانه لا يهمه صور الأضاحي السمينة والجميلة. ولكنه تعالى يريد رؤية حرارة الحماس الذي دفع هذا الشخص للتضحية وعمق المشاعر الكامنة وراء تلك التضحية.. وإلى أي مدى سعى هذا الشخص لنيل رضا الله تعالى.

لذا فعلى كل أحمدي أن يختبر نفسه بهذا المعيار.. فالله تعالى قال عن هذه الأضحيات: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّـهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.. هذا ما يليق بكل أحمدي أن يسعى لنواله.. وهو التقوى..

هذا هو النبي العظيم وهو الذبح العظيم الذي ولد بعد ذلك من نسل إسماعيل، والذي من فيضان أسوته القدسية ﷺ قد وفق الله تعالى الصحابة أن يتأسوا به ويقدموا تلك التضحيات العظيمة المعروفة.

وكما ذكرت آنفًا.. فهذه التقوى هي التي دفعت سيدنا "إبراهيم" وسيدنا "إسماعيل" والسيدة "هاجر" أن يقدموا التضحيات المتواصلة. فليحفظ كل واحدٍ منَّا هذا الدرس: وهو أن الروح الكامنة وراء كل عملٍ هي التي تقرب إلى الله تعالى.

ينبغي أن تُصفوا نياتنا عند كل عملٍ.. ولذا فقد قال النبي ﷺ: "إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ". (البخاري- كتاب بدء الوحي).. فهذا العيد والأضحيات التي تُذبح فيه فرصة لتنبهنا إلى الله تعالى وأن يكون هدف سعينا نيل رضا الله تعالى وأن نحيا خاضعين له عز وجل. إن الله تعالى يريد منَّا أن نقدم ما نحبه.. ويريد منَّا أن نكون مستعدين لتقديم تضحية أنفسنا وأموالنا ومشاعرنا وكل ما عندنا حبا في الله تعالى.

إننا لا نستطيع أن نواصل تقديم مثل هذه التضحيات إلاَّ بالتقوى.. وبها نستطيع إحياء ذكرى تلك التضحيات التي قدمها سيدنا رسول الله ﷺ، مستمدين من نفس قوته القدسية التي دفعت الصحابة فقاموا بتقديم مثل هذه التضحيات..كما ذكرت من قبل.

لم تكن هذه التضحيات قليلةً ولا صغيرةً.. فلو قرأنا عما تعرضوا له من شدة التعذيب والمعاناة لاقشعرت منه أبداننا. لقد قدموا – رضوان الله عليهم – التضحيات و لم يلوثوا إيمانهم بأي شيء آخر. وهذه التضحيات هي المطلوبة منَّا اليوم.. ولقد طلب منَّا المسيح الموعود عليه السلام أن نقدم مثل هذه التضحيات، بحيث نؤدي حقوق الله تعالى وحقوق العباد أيضًا.

إذا كنَّا متكاسلين في الصلوات، وإذا لم نحقق الهدف من تلك الأضحيات.. فإن فرحتنا بالعيد سوف تكون فرحة

مادية فقط. وإذا لم نؤد حقوق العباد وحقوق المجتمع أيضًا..فإن احتفال العيد يكون بلا فائدة.

إذا لم يحترم الأولاد والديهم.. وإذا كان الأخ بعيدًا عن أخيه؛ فإن كل هذا يبعد عن التقوى. وفي هذا الوضع لا تكون الصلوات لله تعالى.. ولا الأعمال الأخرى التي يقوم بها؛ إنما هي رياء للناس.. لأن التقوى هي أن يسعى الإنسان للعمل بحسب جميع أوامر الله تعالى. فكل أحمدي يدّعي بأنه ينتسب إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام لن يستطيع أن يستفيد من هذه التضحيات ما لم يؤد كل عملٍ مراعيًا مقتضيات التقوى.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَا رَسُولَ اللهِ مَا هَذِهِ الأَضَاحِيُّ قَالَ: ''سُنَّةُ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ''. قَالُوا فَمَا لَنَا فِيهَا يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ''بِكُلِّ شَعَرَةٍ حَسَنَةٌ''. قَالُوا فَالصُّوفُ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: ''بِكُلِّ شَعَرَةٍ مِنَ الصُّوفِ حَسَنَةٌ''. (ابن ماجة –كتاب الأضاحي)

وَعَنْ عَائِشَةَ –رضي الله عنها– أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ''مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلاَفِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا''.(الترمذي– كتاب الأضاحي).. أي هذه الأضحيات يجب أن تقدموها اقتداء بسنة النبي ﷺ وأصحابه. وهم لم يقدموا هذه الأضحيات رياء بل قدموها بدافعٍ من النفس التي طابت بتقوى الله.

إن معظم الناس في العالم لا يعملون بأوامر الله تعالى مع أنهم يقدمون التضحيات بإنفاق أموال كثيرة.. ولكن الرسول ﷺ يحثنا في الحديث السابق على أن نقوم بذبح الأضحية مراعين مقتضيات التقوى ومتذكرين أُسوة سيدنا ''إبراهيم''.. فتُقبل هذه الأضحيات وتُثابون على كل شعرة منها وحتى على الدم أيضًا. ففي هذا الحديث بشارة وكذلك هناك مسئولية كبرى كامنة فيه وهي أنه ينبغي أن نقوم بكل عملٍ مراعين مقتضيات التقوى.

يقول المسيح الموعود عليه السلام: إن هذه الأضحيات قد جعلها الله تعالى رمزًا لتضحيات النفس.. حيث قال تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.. أي احذروا الله تعالى كأنكم تذبحون.. فكما أنكم تذبحون أضحياتكم بأيديكم؛ فاعتبروا كأنكم تذبحون أنفسكم أيضًا.. فإذا كانت معايير التقوى أقل من هذا الحد فينبغي أن تراجعوا أنفسكم في ذلك.

لذا يجب أن نتدبر ونتفكر في أنفسنا.. هل نحن مستعدون أن نُذبح في سبيل الله تعالى كما قال المسيح الموعود عليه السلام؟ فإذا كنا جاهزين لذلك.. عندها يمكننا أن نقول أننا قد حققنا هذا الهدف.

وهناك أمرٌ آخر متعلق بالواقفين الجدد، وبالوالدين الذين ينذرون لله حياة أولادهم قبل أن يولدوا.. فعلى الوالدين أن يشكرا الله تعالى أنه وفقهما لنذر أولادهم لخدمة دينه الحنيف. وبعد تقديم هذه التضحية يجب أن يدعوا دائمًا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصافات: ١٠١).. وهذا كان دعاء سيدنا ''إبراهيم" عليه السلام. إنني آمل وأرجو من الذين نذروا أولادهم في مشروع ''الوقف الجديد'' أن يدعو لأولادهم بهذا الدعاء. والذين سوف يقدمون أولادهم في هذا المشروع الآن أو في المستقبل عليهم أن يدعوا لأولادهم بذات الدعاء أيضًا.. فيرزقهم الله بفضله ذرية تفهم هذه التضحية. وعلى جميع هؤلاء الآباء والأمهات أن

يدعوا لأولادهم أن يوفقهم الله تعالى لتقديم التضحيات كما يرضى تعالى ويريد، وأن يجعلهم قُرَّة أعين لهم وأن يوفقهم للقيام بجميع مقتضيات هذا الوقف وأن يكونوا من الذرية الطيبة. فيجيبوا بنفس الجواب الذي أجاب به سيدنا "إسماعيل" عليه السلام الذى كان قد بلغ من العمر اثنتي عشر أو ثلاثة عشر سنة حين قال: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. فالأولاد المشتركون في مشروع الوقف الجديد يجب أن يكونوا مدركين هذه الحقيقة عندما يبلغون هذه السن المذكورة، وعارفين أنهم قد نذروا أنفسهم. كذلك ينبغي على الوالدين أيضًا أن تكون مستويات تقواهم عالية. فإذا كانت مستويات التقوى على هذا القدر الكبير فإن أولادهم أيضًا سوف تكون مستويات تقواهم عالية.

إن هذه المسئولية ليست مسئولية الجماعة وحدها؛ إنما هي مسئولية الآباء. وكذلك الأولاد عندما يكبرون يجب أن يكونوا أهلاً لخدمة الدين. إن مِنْ تقوى الآباء ما ينفث في أولادهم. فإذا كان الآباء من الأبرار.. فإن الأولاد أيضًا يكونون من الأبرار.. وحتى من الأجيال القادمة أيضًا من سوف يكونون من المتقين الأبرار. لذا يجب أن يفهم الوالدان هذه المسئولية.. أن سيدنا "إسماعيل" عليه السلام لم يكن وحده الذي قدم هذه التضحية؛ إنما سيدنا "إبراهيم" عليه السلام والسيدة "هاجر" أيضًا كانا سابقين عليه مشتركين معه. ومن هذه الناحية فالمسئولية على الوالدين كبيرة.

إن هذا المشروع الذي كان قد قدمه سيدنا الخليفة الرابع -رحمه الله تعالى- وبإلهامٍ من الله تعالى يقتضي من الوالدين والابن أن يتفهموا شرف هذه المسئولية وقيمة هذه التضحية.. وأن يظلوا ثابتين عليها إلى أن يصبح ابنهم فردًا مفيدًا للجماعة وللمجتمع.

كذلك يجب أن يرّسخ الوالدان في أذهان أولادهم: أنكم قد وقفتم حياتكم ونذرتموها لخدمة الدين.. لذا يجب أن تتفقهوا في الدين، فإنكم سوف تصبحون مبلغين ومبشرين بالإسلام غدًا.

وعلى الأبناء أن يشحذوا أذهانهم وهمم أنفسهم. إن الجماعة في مجال التربية والتعليم والتبليغ بحاجةٍ إلى عددٍ كبير من المبشرين والمهنيين بما فيهم الأساتذة والأطباء وغيرهم.. وإننا بحاجة أيضًا إلى عددٍ كبيرٍ من الواقفين الذين يدخلون الجامعة الإسلامية الأحمدية. وعلى الأمهات أن يرسخن في أذهان أولادهن منذ البداية أنكم قد نذرتم حياتكم لخدمة الدين.. وعليهن أن يساعدن أولادهن بالأدعية.

كذلك على الأولاد الذين دخلوا في الوقف الجديد عندما يبلغوا سن الرشد أن يقدموا أنفسهم بأنفسهم.. وعندما يفهمون هذه التضحية

لذا يجب أن يفهم الوالدان هذه المسئولية.. أن سيدنا "إسماعيل" عليه السلام لم يكن وحده الذي قدم هذه التضحية؛ إنما سيدنا "إبراهيم" عليه السلام والسيدة "هاجر" أيضًا كانا سابقين عليه مشتركين معه. ومن هذه الناحية فالمسئولية على الوالدين كبيرة.

وروحها.. فإن هذا سوف يكون مدعاةً لسعادة الوالدين..وعندما يوفون بتلك التضحيات فإنهم سوف يحققون مقتضيات ذلك الابتلاء الذي قدمه سيدنا "إسماعيل" عليه السلام.

لذا عليكم أن تتعلموا الدين.. ولكن إذا كان أحد من هؤلاء الأولاد لا يستطيع أن يوفي متطلبات هذا المشروع؛ فعليه أن يستشير الجماعة فيما عسى أن يقوم به في المستقبل، فلا يستطيع الجميع دخول الجامعة (معهد تأهيل الدعاة ''المترجم'')..ولكن يمكن أن يدخلوا في مجالات أخرى.

إن الأولاد يجب أن يختاروا وأن يخططوا للمستقبل من الآن. فهناك الكثير من الأولاد والطلاب النشطاء وهم في الحقيقة يفهمون روح هذه التضحية.. وهم من السعداء. ولهم أن يختاروا طريق سعادتهم. ولا شك أنكم أيها الأبناء إذا فعلتم ذلك سوف تنالون أدعية والديكم وكل الجماعة لأنكم قد عاهدتم الله تعالى أنكم سوف تبذلون حياتكم في سبيل خدمة دينه.

ندعو الله تعالى أن يوفق جميع الواقفين وآباءهم وجميع المربين الذين يتعهدون بتربيتهم أن يفهموا روح هذه التضحية وأن يحققوا مستويات عليا فيها.. تلك المستويات التي يريدها الله تعالى منَّا.

والآن أرجوكم أن تدعوا للأسرى الكثيرين الذين قد أُسِروا في سبيل الله تعالى في باكستان ليس لهم ذنب إلاَّ أنهم قالوا ربنا الله وآمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام. أرجو أن تدعو للشهداء أيضًا ولعائلاتهم وأولادهم أن يحفظهم الله تعالى وأن يعطي أجيالهم القادمة أجورًا كثيرة. وأن تدعو أيضًا لواقفي الحياة الذين نذروا حياتهم لخدمة الدين. وأقول لأهل قاديان أنه يجب أن تتذكروا أن أكثركم من أبناء المتقين الأوائل وأن آباءكم قد قدموا التضحيات المستمرة.. لذا عليكم أن تُحيوا هذه التضحيات، وذلك برفع مستويات تقواكم. يجب أن تستعينوا بالله تعالى وأن تحاسبوا أنفسكم وتطهروا أعمالكم.. إن جميع الأحمديين في كل أنحاء العالم يجب أن يتذكروا أولاد هؤلاء المتقين الأوائل في دعواتهم، هؤلاء المتقون الذين لا زالوا يضربون مثلا عليا في التضحية.. فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر. رفع الله درجات من توفوا منهم.. والذين هم على قيد الحياة ندعو الله تعالى أن يمد في حياتهم ويترل بركاته على أولادهم.

كذلك يجب أن تدعو للأحمديين في باكستان: ادعوا لهم أن يخرجهم الله تعالى من المحن والابتلاءات التي هم فيها منذ فترة طويلة..وأن يزيدهم تُقىً وورعًا وأن يتقبل تضحياتهم. كثيرٌ منهم يقولون لي أنك قد جئت بالقرب منَّا ولكن الظروف لم تسمح لنا بـــلقائكم. فأقول للمسلمين الأحمديين في باكستان :

إن قلوبكم مليئة بالحزن والشجون وعواطفكم مليئة أيضًا بالحزن والألم.. ولكن يجب أن تحولوا هذه الأحزان والعواطف إلى دموعٍ تجري من العيون وأن تقدموها في حضرة الله تعالى.

كذلك يجب أن تدعو للإخوة في بنجلاديش وإندونيسيا فهناك بعض مشاكل يتعرض لها الأحمديون هناك. ندعو الله تعالى أن يرفع معاناتهم ومشاكلهم وأن يثبت أقدامهم على التقوى والإيمان..ويرينا تلك الأيام بأسرع ما يمكن.. تلك الأيـــام التي نرفـــع فيها راية الأحمدية.. أي راية الإسلام الصحيـــح.. في جميع أنحاء العالم بفضل الله تعالى وعونـــه. آمين

همسة

مرحباً يا أصدقاء..

إننا نتشارك هذه الحياة معًا..

نتفاعل مع بعضنا بعضا..

نتّفق حينًا ونختلف حينًا آخر..

ينظر كلٌّ منّا من زاويته فيرى الآخرين في غير موضعه..

توصلنا بعض وجهات نظرنا المختلفة إلى الخلاف ولا تقف بنا عند الاختلاف بالرّأي..

إنّ بعض المتّفقين بالآراء تضيع أوقاتهم سدىً باللّهو واللّعب والفساد في الأرض.. فلا جديد يحفّز على التّفكّر والتّدبّر..

وبعض المختلفين بالآراء يترفّعون عن كل ما يهدر الوقت.. فينظر كلٌّ منهم في أعماق نفسه.. يراجع أفعاله وأقواله..

وينظر في مواقفه هل كانت كلّها على صواب؟.

إذًا نحن نحتاج إلى من يخالفنا الرّأي حتى نتنبّه إلى أخطائنا.. فنحن قد لا نرى إلا من زاويةٍ واحدة..

نحن بحاجةٍ إلى رأيٍ آخر على الدّوام.. حتى تكون حياتنا أكثر فاعليةً وعطاءً..

نعم.. نحن نختلف وسنختلف بالآراء ما دمنا أحياء..

لن ننظر إلى كلّ من خالفنا في الرّأي على أنّه عدوّ..

بل قد يكون رحمةً واسعةً جدًا لم ندرك أبعادها بعد..

ولنراجع أنفسنا في سابقات أعمالنا..

لن تأخذنا الدّنيا بزخارفها.. فمهما خطّطنا ونفّذنا من المشاريع النّاجحة فستؤول للزّوال..

وتأتينا ساعة اللّقاء المحتوم..

مع بزوغ كلّ فجر جديد تأتينا ذاكرتنا بما نرضى عنه من أعمالنا وما لا نرضى عنه..

فلنصغ إلى صوتٍ قادمٍ من فطرتنا التي فطرنا الله تعالى عليها..

ولنصلح من أعمالنا المشوبة بالأخطاء بكل سرعةٍ..

ألا فلنسرع فنحن لا نزال فوق التّراب..

خالد البراقي (سوريا)

حـكمٌ ونـوادرُ

إعداد: جمال أغزول (المملكة المغربية)

* كن في الشدّة وقورا وعلى المكاره صبورا وفي الرخاء شكورا.

* جواهر الأخلاق تفضحها المعاشرة.

* النية الصالحة والهمة العالية نفس تضيء وهمة تتوقد.

من مآثر الأبرار:

سأل رجل الحسن البصري رحمه الله عن سر زهده في الدنيا فأجاب:

أربعة أشياء: علمت أن رزقي لا يأخذه أحد غيري فاطمأن قلبي، وعلمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به وحدي، وعلمت أن الله مطلع عليّ فاستحييت أن يراني في معصية، وعلمت أن الموت حق فأعددت الزاد للقاء ربي.

لكل مثل دلالة:

من مأمنه يُؤتى الحذِر: يضرب هذا المثل لمن يأتيه الأذى ممن لا يتوقعه منه.

أبيات لها معان:

يـا نفـسُ تـوبي فإن المـوت قـد حان ... واعصي الهوى فالهوى ما زال فتّانا

أمـا تريـن المنايـا كيـف تلقطنـا ... لـقـطاً وتلـحق أخرانا بأُولانـا

في كل يـوم لنـا ميّـت نشـيّعه ... نـرى بـمصرعـه آثـار موتـانا

شخصية رسول الله ﷺ وأخلاقه

حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني لحضرة الإمام المهدي عليه السلام

إن حياة نبي الإسلام ﷺ كتاب مفتوح كلما بحثت في أي جزء منه تجد فيه تفاصيل تثير الاهتمام وتخلب اللب. و لم يحدث أن تم تسجيل وقائع حياة نبي أو حياة مَعلم آخر تسجيلاً دقيقًا ومتاحًا للدارسين، مثل حياة الرسول العظيم ﷺ. وصحيح أن هذه الغزارة في الحقائق والمرويات المدوّنة، قد أعطت النقاد الماكرين فرصتهم المنتظرة، ولكن من الصحيح أيضًا أنه حين تتم دراسة الانتقادات بعناية، ويتم الرد الحاسم عليها، فإن ما تثيره فينا حياة الرسول ﷺ من الإيمان والحب الغامر والتقوَى، لا يماثلها فيه حياة أي شخص آخر.

إن الحياة الغامضة التي لا يعرف الناس شيئًا عن تفاصيلها قد تسلم من النقد، ولكنها لا تفلح في بث الإقناع وزرع الثقة في قلوب من يتبع أصحابها. إذ تظل صعوبات الغموض، وظلمات الحيرة، وخيبة الأمل، قابعة في القلوب. ولكن الحياة الغنية بالتفاصيل المدوّنة، مثل حياة الرسول ﷺ، تثير فينا التأمل العميق ومن ثم تثبّت الاقتناع. وعندما يتم تصفية الحسابات الخاطئة للانتقادات والمفاهيم الزائفة، بكشف الحقائق وتسليط الأضواء عليها، فمن المحتم أن تجذب حياة الرسول ﷺ منَّا كل حب وإعجاب وتقدير، وتثير فينا كل إعزاز وإكبار وتوقير، بشكل كامل ودائم وإلى الأبد.

تلك هي عزيز القارئ أهم ملامح هذا الكتاب القيم الذى ستطالعه عبر حلقات في هذه الزاوية. والجدير بالذكر في هذا المقام أنه من الصعب تقديم ملخص كامل متوازن لحياة كحياة الرسول ﷺ، التي كانت واضحة كالكتاب المفتوح، وشديدة الثراء بما تحتويه من وقائع ومواقف وأحداث. وقد أعطى المؤلف لمحة، ولكن حتى هذه اللمحة لها وزن وثقل. حيث أنه ﷺ كان يمارس ما يعظ به، وكان يعظ بما كان يمارسه؛ وإذا عرفته فقد عرفت القرآن المجيد، وإذا عرفت القرآن المجيد فيمكنك أن تتعرّف عليه.

للقد حصل شرف نقل هذا الكتاب إلى لغة الضاد للأستاذ الفاضل فتحي عبد السلام.

بعد أن قمنا بعرض مختصر للأحداث البارزة في حياة النبيّ الأكرم ﷺ، نقدّم الآن محاولة لعرض الخطوط العامة للملامح التي تميّز سلوكه الخلقي. ولدينا في هذا الشأن شهادة قومه التي أقروا بها قبل دعواه بالنبوة، ففي تلك المرحلة كان معروفًا في قومه "بالصـــادق" و"الأمين". (ابن هشام)

ولا شك أن في كل عصر عاشت أعداد كبيرة من الناس دون أن يتّهمهم أحد بعدم الأمانة، وهناك أيضًا أعداد كبيرة من البشر لم يحدث لهم أن تعرّضوا للتجربة والامتحان، وكان سلوكهم في مجالاتهم العادية يتّسم بالأمانة والنّزاهة، ولكن لا يعتبر الناس أنهم يتميّزون بشيء خاص في هذا الصدد، إذ أن من يستحق أن ينال التميّز الخاص هم أولئك الذين تفيض حياتهم الشخصية بدرجة عالية من صفات الخلق السامي الكريم.

إن كل جندي يدخل المعركة يضع حياته في مهب الأخطار، ولكن ليس كل جندي بريطاني ينال وسام الملكة فيكتوريا، ولا يستحق كل جندي ألماني وسام الصليب الحديدي. وهناك مئات الألوف من الناس في فرنسا يعملون في وظائف تستدعي

منهم استعمال العقل والتفكير، ولكن لا يفوز كل منهم بوسام الشرف. وعلى هذا فإن مجرد أن يكون الإنسان أمينًا أو صادقًا لا يدل على أنه يتميّز بشيء خاص عن سائر الناس، ولكن عندما يقوم شعب بأكمله بالإجماع على منح شخص لقب "الصادق" و "الأمين"، فإن هذا يدل على أنه بلغ في الأمانة والصدق مبلغًا عظيمًا، وأن له في الصدق والأمانة خواصًا استثنائية خارقة عهدها الناس عليه. ولو كان من عادة أهل مكة أن يمنحوا تميّزًا كهذا لشخص ما في كل جيل من الأجيال، فحتى حينذاك لا بد أن يكون ذلك الشخص قد بلغ شأنًا عاليًا في خصال الصدق والأمانة. ولكن تاريخ مكة، بل وتاريخ الجزيرة العربية كلها، لا يشير من قريب أو بعيد إلى أن العرب قد اعتادوا منح هذه الألقاب أو ما يشابهها في أيّ جيل من أجيالهم. ولكن على العكس من ذلك، إن تاريخ العرب يبين أنه لم يحدث أنهم أطلقوا لقب "الصادق" أو "الأمين" على أحد سوَى على الرسول ﷺ، مما يدل على أنه ﷺ قد بلغ في هذا الشأن سموًا لم يبلغه أحد، ونال رفعة لم يصل إليها سواه، حتى إن ذاكرة قومه لم تعرف شخصًا يساويه في هذا المضمار، ولا رأت عيونهم إنسانًا يباريه في هذا المجال. لقد كان العرب معروفين بتوقّد الذهن، وإذا ما اختاروا شيئًا واعتبروه نادر المثال، فهو في الحقيقة إذن فريد نادر المثال.

ولكن عندما يقوم شعب بأكمله بالإجماع على منح شخص لقب "الصادق" و"الأمين"، فإن هذا يدل على أنه بلغ في الأمانة والصدق مبلغًا عظيمًا، وأن له في الصدق والأمانة خواصًا استثنائية خارقة عهدها الناس عليه.

وعندما دعا الله تعالى رسوله الكريم ليحمّله أعباء النبوة ومسئولياتها، فإن زوجه السيدة خديجة، رضي الله تعالى عنها، راحت تشهد بصفاته الخلقية الراقية، وهي حادثة سبق الإشارة إليها في سيرته التي أسلفنا ذكرها. وسوف نقدّم الآن بعضًا من صفاته الأخلاقية العالية، ليستطيع القارئ أن يقدّر رسول الله حق قدره في تلك المجالات التي لم يتمّ التعريف بها.

طهارة الفكر ونظافة البدن

يُروَى عن الرسول ﷺ أنه كان نقيّ الحديث دائمًا، وأنه لم يكن يستعمل القسَم تلو القسَم لتوكيد كلامه، كما كان معاصروه غالبًا يفعلون. ولم يكن هذا بالأمر العادي بين العرب، ولا يعني هذا أن العرب في عصر الرسول ﷺ كانوا يعتادون الكلام البذيء، ولكن مما لا شك فيه أنهم كانوا معتادين على الكلام الذي يشوبه الكثير من الأيْمان المغلّظة، وهي عادة تمكنت منهم حتى إلى أيامنا هذه. أما رسول الله فكان يحفظ لاسم الله تعالى وقاره واحترامه، ولم يحدث أبدًا أن تفوّه به إلا إذا كان هناك ما يبرر ذلك.

وكان دقيقًا في اهتمامه بالنظافة البدنية حتى في الشكليات الخارجية، فكان من عادته أن يستاك عدة مرّات في اليوم، وكان يشدّد على الاهتمام بهذه العادة حتى تكرر منه القول بأنه لولا خشيته أن يشق على أمّته لأمرهم بالسواك عند كل صلاة. كان يغسل

يديه قبل الطعام وبعده، وكان يغسل فمه فور تناول طعام مطبوخ؛ وكان يرى أنه من المستحب لكل شخص أكل طعامًا مطبوخًا أن يغسل فمه قبل كل صلاة، ففيه استنارة للفم. (البخاري)

إن المسجد في الإسلام هو المكان الذي يُعقد فيه اجتماع المسلمين، ولذلك اهتم الرسول ﷺ اهتمامًا خاصًا بنظافة المساجد، خاصة في الأوقات التي يزدحم المسلمون داخلها، ولذلك حث على إيقاد البخور في هذه المناسبات لتحسين رائحة الهواء (أبو داود). وأرشد المسلمين ألا يذهبوا إلى المساجد في الصلوات الجامعة بعد تناول الأطعمة التي تصدر عنه رائحة منفّرة (البخاري).

وأصر على أن تظل الشوارع والطرقات نظيفة من الأغصان والحجارة، وكل المواد والأشياء التي قد تعوق السير أو تثير الاشمئزاز. وكان يزيل الأذى من الطريق بنفسه إذا وجده، وكان من عادته التذكير بأن كل من يميط الأذَى عن الطريق محافظًا عليه نظيفًا فإنه يكتسب رفعة عند الله وقوة في الإيمان. ورُوي عنه أنه أمر ألا تُستعمل الطرقات لتعويق المارة، وألا يُلقَى في الطريق أي شيء أو مادة غير مرغوب فيها، وألا يُدنّس الطريق بأية صورة، فإن كل فعل من تلك الإساءات تُغضب الله تعالى.

وكان شديد الحرص على أن تُصان كل مصادر الماء التي يستعملها الإنسان نظيفة نقية. وعلى سبيل المثال هنا، فلقد حرّم إلقاء أي شيء في الماء الراكد حتى لا يفسد، ولا في أي خزّان ماء يُستفاد منه حتى لا يتلوث (البخاري ومسلم-كتاب البِر والصلة).

بساطة حياة النبيّ

كان طعامه وشرابه غاية في البساطة، ولم يشْكُ مطلقًا من سوء طبخ الطعام أو سوء إعداده. وكان يُقْدم على تناول طعام كهذا ليعفي الشخص الذي قام بإعداده من الحرَج، وأحيانًا كان الطعام لا يؤكل وحينئذ يكفّ عن تناوله، ولم يحدث أن عبر أبدًا عن رفضه لطعام. وكان إذا جلس لطعامه اتجه نحوه، وكان يُعلّم أصحابه أن لا يفرّقوا بين أنواع الطعام. وعندما يوضع الطعام أمامه، كان يشترك فيه مع الحاضرين. وفي مرة أهداه أحدهم تمرًا، فنظر حوله وقدّر عدد أصحابه الذين كانوا معه، ثم قسم التمر بينهم بالتساوي، فأعطى كل واحد منهم سبع تمرات. وقد روَى أبو هريرة أن الرسول ﷺ لم يأكل حتى الشبع من طعام قط حتى ولا من خبز شعير (البخاري). ومر يومًا على قوم بين أيديهم شاة مشويّة في وليمة، وعندما رأوا الرسول ﷺ دعوه ليشاركهم فأبى، ولم يكن ذلك كراهية منه للّحم المشوي، ولكن لأنه لم يكن يرضَى أن يستمتع الناس بوليمتهم من الشواء في مكان مفتوح للمارة بحيث يراهم الفقير الذي لا يجد ما يأكل، فتنكسر نفسه. ورُوي عنه في مناسبة أخرَى أنه أكل اللحم المشوي. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما شبع آل محمد منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعًا حتى قُبض" (البخاري- كتاب الأطعمة). وكان يشدّد على ألا يذهب إنسان إلى بيت شخص آخر لطعام إلا إذا دُعي إليه. وفي مرة دعاه إنسان إلى طعام، وأذن له أن يصحب أربعة آخرين معه، وعندما وصل إلى منْزل المضيف وجد شخصًا سادسًا قد انضم إلى المجموعة، وخرج صاحب البيت إلى الباب ليلقَى الرسول

ﷺ وصحبه. فلفت ﷺ نظره إلى الشخص السادس الذي انضم إليهم، وترك للمضيف حق قبول هذا الضيف الزائر أو رفضه، وقبل المضيف بطبيعة الحال هذا الشخص الزائر (البخاري كتاب الأطعمة).

وكان إذا جلس ﷺ لطعام سمى بالله ودعا بالبركة، فإذا فرغ حمد الله بهذه الكلمات: "الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا". والمعنى هو أن كل المحامد لله الذي أطعمنا، حمدًا فائضًا من قلب مخلص محض، حمدًا متزايدًا باستمرار، حمدًا لا يدع لدينا انطباعًا في عقولنا أننا حمدناه تعالى بما يكفي، بل حمدًا يخلق فينا إحساسًا أننا لم نقل بعد ما يكفي لحمد الله، حمدًا لا ينتهي بل يجعلنا نشعر دومًا أن كل أفعال الله تستحق الحمد، حمدًا يتضرع إلى الله أن يملأ القلب بهذه المشاعر اللائقة بتقديسه.

وأحيانًا كان يقول: "الحمد لله الذي كفانا وأروانا غير مكفي ولا مكفور". والمعنى هو أن الحمد لله كل الحمد الذي أطعمنا وسقانا، اللهم اجعل قلوبنا دائمًا وأبدًا مشتاقة لحمدك لا تكتفي، ونعوذ بك أن تنكر قلوبنا نعمتك فلا تمتنّ لك.

وكان يُذكّر أصحابه عند الطعام ألا يملأ أحد بطنه بالطعام، وكان يقول إن طعام الواحد يكفي الاثنين. وكان إذا أُعدّ في بيته طعام خاص أوصَى أن يُهدَى بعضٌ منه للجيران، وكانت عادته أن يهدي الطعام وغيره من الماعون إلى بيوت جيرانه (مسلم، كتاب الأدب والبخاري).

وكان دائمًا يحاول التفرّس في وجوه أصحابه ليتوسّم إن كان أحدهم في حاجة لمعونة ماسّة، وقد روَى أبو هريرة هذه الحادثة: "والله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحجَر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل. ثم مر بي عُمر، فسألته عن آية من كتاب الله تعالى، ما سألته إلا ليشبعني، فمر فلم يفعل. ثم مرّ بي أبو القاسم، فتبسّم حين رآني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثم قال: أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله. قال: الحقْ، ومضى فتبعتُه، فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنًا في قدح فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة، قال: أبا هرّ، قلت: لبيك رسول الله. قال: الحق إلى أهل الصُفّة فادعهم لي. قال أبو هريرة: وأهل الصُفّة أضياف الإسلام، لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. فساءني ذلك، فقلت في نفسي: وما هذا اللبن في أهل الصُفّة؟ كنت أحقّ أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، فإذا جاءوا أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسَى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بُد. فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم من البيت فقال: يا أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: خذ فأعطهم، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يُروَى، ثم يرد عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يُروَى، ثم يرد عليَّ القدح، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يُروَى، ثم يرد عليَّ القدح. حتى انتهيت إلى الرسول وقد رَوَى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إليّ فتبسم، ثم قال: أبا هرّ، قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: بقيتُ أنا وأنت؟ قلت: صدقتَ يا رسول الله. قال: اقعد فاشرب فقعدتُ فشربتُ. فقال: اشرب، فشربت. فما زال يقول اشرب حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا. فقال: فأرني، فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة (البخاري، كتاب الرقاق).

ربما كان هدف الرسول من تكرار عرض اللبن على أبي هريرة آخر المجموعة هو أن يعلمه التحمل والصبر على آلام الجوع، وأن يجعل ثقته في الله تعالى، وألا يبالي بظروفه الخـــاصة مهما كانت صعبة غير مواتية.

وكان ﷺ يأكل دائمًا بيمينه ويشرب بها، ويتوقّف في الشرب ثلاث مرات ليتنفّس خلال شُربه، وربما كان السبب أن الشخص لو شرب الماء دفعة واحدة، لاستوعب منه ما يفيض عن حاجته مما يصيبه بعسر الهضم.

وكان نهجه في الطعام هو أكل كلّ حلال طيب، ولكن بعيدًا عن الأسلوب الذي فيه رائحة النهم، أو فيه حرمان لآخرين من نصيبهم المستحق. وكما سبق القول، فقد كان طعامه بسيطًا، ولكنه لم يكن يرفض طعامًا يهديه إليه إنسان، ولم يكن شديد التوْق إلى أطايب الطعام، وإن كان يفضّل العسل والتمر. أما عن التمر، فقد كان يقول إن هناك شبهًا بين المؤمن وبين النخلة، حيث يُستفاد من الثمر سواء الرطب منه أو الناضج، والسّعف والجريد واللحاء أو الليف، وحتى النوَى داخل الثمرة له فوائد عدة، فلا شيء في هذه الشجرة خال من الفائدة، وهكذا حال المسلم، يجب أن تكون كل حركاته وأفعاله ذات جدوَى، وأن تكون كل مساعيه من أجل خير الإنسانية كلها (البخاري ومسلم).

وكان ﷺ يفضّل الملابس البسيطة، وكانت ملابسه تشمل إزارًا ورداء أو رداء وسروالاً. وكان يرتدي إزاره أو سراويله بحيث يغطي بدنه دون الكعبين. ولم يُجزْ كشف أي جزء من البدن فوق الركبتين إلا لضرورة قصوَى، كما لم يُجزْ استخدام قماش عليه صور بارزة أو مرسومة لأشخاص، سواء للملابس أو للستائر، خاصة إذا كانت هذه الرسومات كبيرة أو تمثل آلهة أو مما يُعبد من دون الله. ورأى ذات مرة في بيته ستارة عليها صوَر ذات حجم كبير فأمر بإزالتها. ولم يكن على كل حال يرى حرجًا من استخدام قماش عليه رسوم صغيرة أو رسوم لا تُفسر على نحو العبادة والتقديس. ولم يكن يرتدي الحرير ولم يسمح به لرجال المسلمين، ولقد اتخذ خاتمًا بغرض توثيق الرسائل التي يبعث بها إلى حكام وملوك العالم ليدعوهم للإسلام، لكنه أوصَى أن يصنع الخاتم من فضة لا من ذهب، لأنه نهى رجال المسلمين عن لبس الذهب. ومع أنه كان يسمح لنساء المسلمين بارتداء الحرير وحُلي الذهب، غير أنه كان يرى أن الإسراف في ذلك كريه مقيت. وفي إحدى المناسبات دعا إلى الصدَقة لإنقاذ بعض الفقراء، فنَزعت امرأة أساورها من يدها ووضعتها في حجر الرسول ﷺ، فقال لها إنّ من حقّ يدها الأخرى أن تنجو أيضًا من النار، فخلعت المرأة أساورها من اليد الثانية وقدمتها إليه. ولم يحدث أن امتلكت امرأة من نساء بيته حُليًّا ذات قيمة، ولا ملكت امرأة من النساء المسلمات على عهده تلك الحليّ الغالية إلا فيما ندر. وقد استنكر أن يكنِز أحد الذهب والفضة المسبوكة، وذلك حسب تعاليم القرآن المجيد. وكان يرى أن الاكتناز بوجه عام يضر بمصلحة القطاع الفقير من المجتمع، ويؤدّي إلى انهيار اقتصاد

الأمة والوطن، لذلك كان يعتبر أن الاكتناز إثم من الآثام.

واقترح عُمر ﷺ ذات مرة على الرسول ﷺ أن يرتدي حلة ثمينة يستقبل بها سفراء الدول الكبرى في المناسبات الرسمية، فرفض مبيّنًا أن الله تعالى لا يرضَى عن ذلك، وأنه ينبغي له أن يقابل الناس بالملابس التي يرتديها عادة. وجاءته مرة هديّة من قماش حريري فبعث به إلى عُمر، فتساءل عمر كيف يرتديه وقد نهى عن ذلك، فقال له إن الهدية ليست دائمًا للاستعمال الشخصي، ومن الممكن أن تستعمل نساؤه ذلك القماش. (البخاري-كتاب اللباس)

وكان فراشه كذلك بسيطًا. لم يستخدم الأسرَّة أبدًا أو المتّكآت، وكان ينام على حصير مفروش على الأرض، وكان فراشه هذا من جلد أو من نسيج من شعر الإبل. وروَت السيدة عائشة أن هذا الفراش كان ضيقًا، حتى إنها كانت تنام على جانب منه وهي متمددة الأقدام، فإذا قام الرسول ﷺ ليلاً للتهجّد، فهبط للسجود؛ جمعت رجليها، حتى إذا قام ونهض.. مدتها، فإذا سجد انكمشت ثانية وهكذا. (مسلم والترمذي، والبخاري-كتاب الأطعمة)

وقد انتهج نفس البساطة في ترتيبات المسكن، فقد كان منْزله عادة يتكوّن من غرفة واحدة وفناء صغير، وكان هناك حبل معلق يقسم الغرفة إلى نصفين بحيث يعلق ستار من قماش على ذلك الحبل عندما يكون لديه زائر، فينفصل مكان لزوجه عن مكان الحاضرين الآخرين. كانت حياته بسيطة للغاية، وقد روَت السيدة عائشة أن طعامه بوجه عام طوال حياته معها، كان التمر والماء. وعندما مات ﷺ لم يكن في البيت يومها سوى بضع تمرات قليلة.

"أفلا أكون عبدًا شكورًا"

العلاقة مع الله عز وجل

لقد سيطر حبه لله تعالى وإخلاصه له على جميع مجالات حياته كلها، ولقد اصطبغت كل مناحي حياته بصبغة هذا الحب وذلك الإخلاص. ولقد كان يصرف الجزء الأكبر من وقته في الليل والنهار يصلي لله، ويسبح بحمده، رغم كل الأعباء الثّقال التي كان يحملها على عاتقه، والمسؤوليات الجسام التي كانت تُطوّق عنقه. وكان يهجر فراشه، ويكرّس نفسه لعبادة الله تعالى حتى يحين وقت الخروج إلى صلاة الفجر. وأحيانًا، كان يقف طويلاً في الصلاة من آخر الليل حتى تتورّم قدماه، وكل من شاهده على هذا الحال تأثّر له كثيرًا. وفي مرة قالت له السيدة عائشة: "يا رسول الله! لقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر". فقال لها: "أفلا أكون عبدًا شكورًا" (البخاري- كتاب الجمعة).

ومعنى ذلك أنها كانت تقول له إن الله تعالى شرّفه بقربه، وأكرمه برضاه عنه، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فلماذا يجهد نفسه هذا الجهد في الصلاة والعبادة، فيقول لها إن واجبه إزاء ذلك أن يزداد شكرًا، فإن زيادة الشكر تجلب مزيدًا من القُرب.

ولم يكن أبدًا يبدأ عملاً إلا بأمر الله تعالى، ولقد سبق أن ذكرنا في سيرته أنه لم يترك مكة إلا بعد أن تلقّى أمرًا سماويًا بذلك، على الرغم من خطورة وقسوَة الاضطهاد الذي كان يتعرض له من أهل مكة. ولقد رفض الهجرة مع أصحابه إلى الحبشة حين اشتدّ الاضطهاد عليهم، وأمرهم بالهجرة إليها ولم يستجب لرغبتهم

في أن يصحبهم، لأن الله تعالى لم يكن قد أذن له بذلك. وفي الوقت الذي تشتدّ فيه الأزمات والمتاعب، يميل الناس عادة لاستبقاء أصدقائهم وأقربائهم على مقربة منهم، ولكن الرسول ﷺ أمر أصحابه باللجوء للحبشة، بينما بقي هو نفسه خلفهم في مكة بسبب عدم تلقّيه توجيها من الله تعالى بمغادرتها.

كان قلبه يفيض تأثرًا، وتنحدر الدموع من عينيه كلما سمع كلمات الله تُتلى عليه، خاصة حينما تذكر تلك الكلمات مسؤولياته هو ومهامّه النبويّة. ويرْوي عبد الله بن مسعود أن الرسول ﷺ سأله مرة أن يتلو عليه بعض الآيات من القرآن المجيد، فقال عبد الله: "يا رسول الله! كيف أقرؤه عليك وعليك أُنزل؟ (يقصد أن رسول الله هو الأعلم به) ولكنه رد عليه قائلاً: "إني أحب أن أسمعه من غيري". فبدأ عبد الله يتلو من سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤٢)، فقال له الرسول ﷺ: "حسبك.. حسبك". فنظر عبد الله بن مسعود إلى الرسول ﷺ ليجد الدموع تنهمر من عينيه (البخاري، كتاب فضائل القرآن).

فيقول لها إن واجبه إزاء ذلك أن يزداد شكرًا، فإن زيادة الشكر تجلب مزيدًا من القُرب.

كان ﷺ شديد الحرص على أداء الصلوات المفروضة، حتى في حالة مرضه الشديد الذي لا يمكنه معه الصلاة إلا في الفراش؛ كان يحرص على الذهاب إلى المسجد ليؤمّ المصلين بنفسه. وفي مرة لم يستطع القدوم إلى المسجد؛ فأمر أبا بكر ﷺ أن يصلي بالناس، ولكنه حالما أحس ببعض القوة والتحسن في مرضه، طلب أن يسندوه ليَصل المسجد. واتّكأ على كتفي رجلين وهو بالغ الضعف حتى إن قدميه كانتا تجرّان على الأرض، وتصنعان خلفها خطوطًا كما ترْوي السيدة عائشة (البخاري).

إن التصفيق باليدين علامة شائعة للتعبير عن السعادة أو لجذب الانتباه إلى أمر ما، وقد تعَوّد العرب على ذلك أيضًا. ولكن الرسول ﷺ لشدّة حبه لذكر الله، أحلّ الحمد والتسبيح وذكر الله محل التصفيق في مناسبات إظهار السرور أو لفت الانتباه.

في مرة من المرات شغله أمر هام عن حضور الصلاة لأوّل الوقت، فأناب أبا بكر ليؤم المصلين، ولكنه سريعًا ما فرغ من الأمر الذي كان بصدده، ثم بادر لفوره إلى المسجد وأبو بكر قائم يؤمّ الناس، ولكن جمهور المصلين شعر بوصول الرسول ﷺ فبدأوا في التصفيق تعبيرًا عن سرورهم بوجوده، ولتنبيه أبي بكر لوجود شخص الرسول ﷺ بينهم. فعند ذلك تراجع أبو بكر ﷺ عن مقامه، وأفسح المكان للرسول ﷺ ليؤمّ الناس. ولما انتهت الصلاة، سأل أبا بكر: "لماذا تراجعتَ وقد أمرتُك أن تؤمّ الناس"؟ فقال أبو بكر: "ما كان لابن أبي قحافة أن يؤمّ الناس ورسول الله قائم". ثم وجّه الرسول ﷺ كلامه إلى الناس فقال لهم إنه ليس من المستحب أن يصفّقوا في الصلاة، فإذا انتاب أحدهم في الصلاة أمر فليسبحوا اسم الله ويجهروا به بدلاً من التصفيق. (البخاري)

و لم يكن الرسول ﷺ يقبل أن تكون عبادة الإنسان أو صلاته تعذيبًا لذاته،

أو عبئًا ثقيلاً في إحساسه. وفي إحدى المناسبات دخل البيت، فرأى حبلاً ممدودًا بين عمودين، فسأل عنه فقيل إن زوجه زينب تتعلق به إذا نهضت في صلاتها عندما تتعب من طول التهجّد، فأمر بإزالة الحبل وقال إن على المرء أن يؤدّي صلاته طالما كان يشعر بالنشاط، فإذا فتر فليقعد، لأن الصلاة ليست عذابًا للنفس، وأنها تفقد قدرتها على تزكية النفس إذا أدّاها المرء وجسده منهك من التعب (البخاري، كتاب الجمعة).

وكان يمقت كل فعل وكل ممارسة تمتّ بأدنى صلة ولو بعيدة إلى أطياف الوثنية أو آثارها. وعندما اقتربت وفاته وأحس بسكرات الموت، كان يتقلّب من جانب إلى جانب وهو يحذّر من فعل اليهود والنصارى بسبب اتخاذهم قبور أنبيائهم وأوليائهم مساجد. وكان يقصد أولئك الذين كانوا يخرّون ساجدين عند قبور أنبيائهم وأوليائهم، ويوجّهون الخطاب إليهم في الصلوات ويصلّون لهم. وقصد أن المسلمين لو فعلوا ذلك، وسقطوا في هذه الممارسات، فإنهم بذلك يتبرأون من نبيّهم، بدل أن يستحقوا صلواته عليهم.

ولقد سبق الحديث في السيرة عن غيرته الشديدة على تمجيد الله وشرف ذكره إلى أقصى الحدود. لقد حاول أهل مكة معه بكل وسائل الفتنة والإغراء، والترغيب والترهيب، ليكفّ عن معارضته لعبادة الأصنام (الطبرى). ولقد حاول عمه أبو طالب أن يقنعه ليعدل عن طريقه، وعبر له عن خوفه من موقف صعب، يجد فيه نفسه مخيرًا بين مرارة عداء قومه، وبين تسليمه لهم متخليًا عن حمايته، إذا أصر على موقفه في شجب الوثنية وتخطئة نهجها. وكان ردّ الرسول ﷺ الوحيد على ذلك هو: "والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه". (الزرقاني)

وفي أُحُد، وعند سفح أحد التلال، بينما يحيط به الجرحى من المسلمين، والعدوّ قد تملّكه الفرح يعبر عن شماتته، وينفّس عنه شعوره بالانتصار على المسلمين بصيحات منكرة، وأبو سفيان قائدهم يصرخ: "أعل هبل، أعل هبل"، في هذا الظرف الدقيق، ورغم ما يهدد سلامته من خطر، ورغم أن العدد الصغير المحيط به من أصحابه ظلوا صامتين، فإنه لم يملك إلا أن يأمرهم بالردّ عليه قائلين: "الله أعلى وأجَلّ" (البخاري).

وكان من العقائد الشائعة عند أتباع الأديان المختلفة قبل الإسلام، أن الآيات الكوْنية في السماء والأرض تساهم في التعبير عن مشاعر الأنبياء والقديسين والصالحين حزنًا وفرحًا، بل إنهم يمكن أن يتحكموا بحركات الأجرام السماوية. وعلى سبيل المثال، فقد رُوي عن بعضهم أنه تسبّب في وقوف الشمس في مسارها، أو أن القمر قد توقّف، أو أن الأنهار قد توقّفت عن الجريان. وقد جاء الإسلام يعلّم الناس أنّ عقيدة كهذه لا أساس لها من الصحة، وأنّ ما جاء من ذلك في الكتب المقدسة السابقة كان أمثلة رمزية، تم تحويلها إلى تصوّر خرافي بدلاً من تأويلها على معناها الصحيح. ورغم ذلك فقد كان بعض المسلمين يميلون إلى نسبة بعض الظواهر الطبيعية إلى أحداث معيّنة في حياة الأنبياء. ولقد كُسفت الشمس عندما مات إبراهيم ابن الرسول ﷺ في عامه الثالث. فروّج بعض المسلمين في هذا اليوم تلك الفكرة التي تقول إن الشمس أظلمت لموت إبراهيم كنوع من التعزية لمشاعر الرسول الكريم. وعندما بلغ

الأمر الرسول ﷺ، عبر عن بليغ استنكاره وضيقه بهذه التصوّرات، فقال: "إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تنكسفان لحياة أحد ولا لموته". وهكذا شرح لهم وبيّن للناس كيف أن الشمس والقمر وأجرام الكوْن السابحة يحكمها قانون الله تعالى وحده، وأن حركتها والظواهر المرتبطة بها لا تخضعان لموت أحد ولا لحياته (البخاري).

والجزيرة العربية بلد جاف، ولذلك يستقبل أهلها المطر بحفاوَة، وينتظرونه بشغف شديد. وكان العرب قد اعتادوا تخيّل أن الأمطار مرتبطة بحركة النجوم، ولكنّ الرسول ﷺ كان يُظهر الامتعاض البالغ إذا ذُكر أمامه شيء من هذا القبيل، وكان ينصح قومه ألا ينسوا نعمة الله تعالى التي يتفضل بها عليهم، ولا ينسبوها إلى أيّ مصدر آخر غير الله عز وجل . وكان تعليمه هو أن المطر وكل ظواهر الطبيعة خاضعة لنظم الله تعالى وحده، وتأتمر بأمره، ولا تخضع لرغبة أحد أو سُلطته، ولا لحركة أيّ مخلوق آخر من دون الله جل جلاله. (مسلم، كتاب الإيمان)

ومهما كان من تراكم الظروف المعاكسة عليه، فقد كانت ثقته في الله لا تهتز إزاء ذلك. حدث ذات يوم أن رآه أحد الأعداء نائمًا، لا يحرسه أحد. فوقف عند رأسه، والسيف مسلول في يده وهدّد الرسول ﷺ بالقتل لفوره، وقبل أن يهوي بسيفه عليه سأله قائلاً: "من يمنعك مني"؟ فرد الرسول ﷺ في رباطة جأش: "الله". ولقد تفوّه الرسول ﷺ بهذه الكلمة بقوة وجلال ويقين، حتى إنّ قلب العدوّ الكافر لم يتمالك نفسه فأدرك على الفور أن الرجل الذي أمامه شامخ الإيمان والثقة في الله تعالى، ولا يمكن أن يكون كاذبًا. لذلك سقط السيف من يد الرجل، ووقف في هيئة صاغرة كمن ينتظر صدور الحكم عليه، بعد أن كان منذ لحظة يقف عازمًا على قتل الرجل الذي أمامه. (مسلم–كتاب الفضائل، والبخاري–كتاب الجهاد)

وعلى العكس من ذلك كان موقفه ﷺ بالغ التواضع أمام الله تعالى، فكان يقف أمامه بكل خشوع ومذلة. وروَى أبو هريرة أنه سمع الرسول ﷺ يقول إن أحدًا لن يدخل الجنة بعمله، فسأل أبو هريرة: "ولا أنت يا رسول الله"؟ فرد عليه قائلاً: "ولا أنا، إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته". (البخاري كتاب الرقاق).

ولقد ظل دائمًا يحضّ الناس أن يلتزموا في كل أعمالهم بالصراط المستقيم، وأن يبذلوا جهدهم في تحرّي الوسائل التي تقرّبهم من الله تعالى. وكان يعلمهم أن الإنسان لا يصحّ له أن يتمنى الموت، لأنه لو كان يسلك السلوك الحسن فلعله يستزيد منه، وإن كان سيئًا فلعله يتوب ويعود إلى فعل الخيرات. ولقد عبر ﷺ عن حبه لله وإخلاصه له بطرق شتى، فمثلاً.. كان قد طال الجفاف، وطال أيضًا انتظار المطر، فلما بدأت القطرات الأولى تتساقط

"والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه".

من السماء، أخرج لسانه يستقبل به قطرة من هذه القطرات، وهو يعبّر عن سعادته وامتنانه لله تعالى قائلاً ما يعني أن هذه أحدث نعمة تتنَزّل عليه من لدن الله تعالى. وكان دائمًا مشغولاً بدعاء الله ليغفر له ويرحمه، وكان ذلك يحدث كثيرًا خاصة في مجالس أصحابه كي يعلمهم أن يقوا أنفسهم من عذاب الله وأن يستكثروا من فضله. ولم يكن يغادره بتاتًا إحساسه بأنه دائمًا وأبدًا في معيّة الله تعالى، فكان إذا أراد النوم قال: "باسمك اللهم أحيا وباسمك اللهم أموت"، يقصد بذلك أنه يذهب إلى نومه واسم الله تعالى على شفتيه، ويستيقظ واسم الله على شفتيه.

فإذا استيقظ كان يقول: "الحمد لله الذي أحيانًا بعد ما أماتنا وإليه النشور" (البخاري). وكان يتُوق باستمرار لكل ما يقرّبه من ربه. ومن دعائه المتكرر قوله: "اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، وأمامي نورًا، وخلفي نورًا، واجعل لي نورًا" (البخاري). وفي رواية: "واجعلني نورًا".

وروَى ابن عباس أنه قبل موت الرسول ﷺ بقليل، قدِم مسيْلمة الكذّاب على عهد رسول الله فجعل يقول: "إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعتُه". وقدم المدينة في عدد كثير من قومه، إذ كانت قبيلته أكبر القبائل العربية. فأقبل إليه رسول الله ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وكان في يد رسول الله قطعة جريد، حتى وقف على مسيْلمة في أصحابه فقال: "لو سألتني هذه القطعة (الجريد) ما أعطيتُكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنّك الله، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ، وهذا ثابت ابن قيس يجيبك عني"، ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: "فسألت عن قول رسول الله إنك ترى الذي أريت فيه ما رأيت"؟ فأخبرني أبو هريرة إن رسول الله قال: "بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأُوحِيَ إليّ في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأوّلتهما كذابيْن يخرجان بعدي". (البخاري)

كان ذلك في أواخر حياة الرسول ﷺ، ولم تكن أكبر القبائل العربية قد آمنت بعد، وكان شرطها كي تتبعه هو أن يُعيّن زعيمهم خليفة له من بعده.

لم يكن للرسول ﷺ ولد من نسله، ولا قريب طامح يقف أمام رغبة الرسول ﷺ في توحيد الجزيرة العربية كلها إن قبل بهذا العرض. ولو كان ﷺ مدفوعًا بأيّ دافع شخصي، لما وقف شيء ضدّ رغبته في وحدة العرب، بأن يعد فقط رئيس أكبر قبيلة فيها أنه سيكون خليفته. ولكنه لم يكن يرى نفسه متصرفًا في أي شيء في العالم مهما كان صغيرًا، ولم يكن يرى نفسه مالكًا لشيء. لذلك رفض التعامل مع مسيْلمة، ورفض عرضه بكل ازدراء. وكان ينظر إلى قيادة المسلمين لا كهدية يهديها هو إلى من يشاء، بل كأمانة إلهية مقدّسة يهبها الله تعالى لمن يستحقها ويناسبها. لذلك قال لمسيْلمة أن يدع عنه قيادة المسلمين جانبًا، فلن ينال منه ولا حتى قطعة جافة من الجريد.

كان ﷺ إذا تحدث عن الله جل جلاله، بدا للناظرين وكأن وجوده كله يذوب في حبّ عميق لله سبحانه

وتعالى، وينبض كيانه كله بنشوَة إخلاص فريد لله جل جلاله.

وكان يرى دائمًا ضرورة أن تكون العبادة بسيطة دون تعقيد. وكانت أرضية مسجده من الرمل والحصباء، ذلك المسجد الذي بناه وصلى فيه أكثر صلواته إمامًا، وكان سقف المسجد من الجريد والسعف الذي كان ينفذ منه ماء المطر إذا هطل. وفي بعض الأيام ابتل الرسول ﷺ وصحبه في الصلاة بالماء، وأصابهم طين الأرض، ولم يمنعه ذلك من إتمام الصلاة للنهاية، ولم يؤجّل أية صلاة، ولم يغلق المكان لحين إتمام الإصلاحات التي تعمل على إحكام السقف ضد عوامل الجو (البخاري، كتاب الصوم).

وكان يراعي أحوال أصحابه مع الله تعالى. كان عبد الله بن عمر رجلاً حريصًا على التقوَى والتطهر، فقال عنه الرسول ﷺ: "نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل". وعندما بلغ ذلك عبد الله، لم يترك قيام الليل بعدها. وحدث مرة أن كان الرسول ﷺ في بيت ابنته فاطمة، فسألها هي وزوجها عليًّا ما إذا كانا يصليان ليلاً، فقال له عليّ: "يا رسول الله! إنما أنفسنا بيد الله فإن شاء بعثها". فتولى عنه الرسول ﷺ وأخذ يضرب ركبته في الطريق ويكرر آية من القرآن وهي قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾ (الكهف)، بمعنى أن الإنسان يتردّد في الاعتراف بخطئه، ويحاول تحميل أعماله الاختيارية على الله تعالى (البخاري، كتاب الجمعة).

وقصد الرسول بذلك أن عليًّا لا يجوز له أن ينسب إهمال صلاة الليل إلى إرادة الله تعالى، بادّعائه أن الله إذا شاء عدم نهوضه للصلاة فإنه لفوره يصبح عاجزًا عن التهجّد، ولكن واجب عليّ هو التسليم بضعفه عن أداء الأمر، وعليه أن يواجه نفسه ويلومها.

وقصد الرسول بذلك أن عليًّا لا يجوز له أن ينسب إهمال صلاة الليل إلى إرادة الله تعالى، بادّعائه أن الله إذا شاء عدم نهوضه للصلاة فإنه لفوره يصبح عاجزًا عن التهجّد، ولكن واجب عليّ هو التسليم بضعفه عن أداء الأمر، وعليه أن يواجه نفسه ويلومها.

رفض تعذيب النفس

رفض الرسول ﷺ رفضا باتًّا أن تكون العبادة أمرًا شكليًا، وأدان قيام الشخص بتعذيب نفسه بأيّة صورة، متصوّرًا أنه بذلك التعذيب يعبد الله تعالى ويتقرّب إليه. لقد وهب الله سبحانة وتعالى الإنسان ملكاته وحواسّه كي يحسن استخدامها وشكرها. ولقد علّم الرسول ﷺ الناس أن العبادة الحقّة تكمن في الانتفاع الأمثل بتلك العين وذلك السمع وهذا الشم وذلكم التذوّق والإحساس. إن الله تعالى وهبنا العين لنرى بها، وإنه لمن الكنود لله أن نغلقها أو أن نقتلعها. وليس شكر نعمة الرؤية هو أن نعتبر الرؤية إثمًا، فالله وهبنا هذه الملكات ليس على أنها إثم نحمله، بل نعمة للتقدّم والرقيّ. وإنه لعقوق من جانب الإنسان أن يحرم

نفسه من نعمة وهبها الله له كالسمع مثلاً، كما أنه من العقوق والإثم أيضًا أن يستخدم هذه الحاسّة في الاستماع إلى الأكاذيب والغيْبة. والامتناع عن تناول الطعام، (ما لم يكن صومًا مفروضًا أو عملاً تقتضيه الحكمة)، قد يؤدي إلى قتل النفس، وهو ذنب لا يُغتفر. وكما أن الإضراب التام عن الطعام والشراب إثم وعقوق، فإن من النكران والعقوق كذلك أن نأكل طعامًا محرّمًا أو نشرب ما لا يحل شربه. وهذه قاعدة ذهبية للحياة، أكّدها الرسول ﷺ وشدّد على أهميتها. ولم يقم من قبل نبيّ آخر بغرس هذه القاعدة في التعليم والحياة.

إنّ الاستخدام الصحيح لملكاتنا الطبيعية، وحُسن استعمال الميول الحسّية، هو الذي يؤدّي إلى أن تترسّخ فينا الصفات الأخلاقية العليا. وإنه من الحماقة أن نُبطل عمل هذه الملكات الطبيعيّة التي فطرها الله فينا أو نلغيها، كما أنه من الحمق أيضًا أن نسفّهها بأداء سفيه. إنّ الإثم لا يكمن فيها، بل يكمن في سوء استخدامها، ولذلك فإنّ في حُسن استخدامها فضيلة مؤكّدة وخُلُقًا طيبًا. وهذه هي خلاصة التعاليم الخلقية التي أكّدها الرسول ﷺ وشدّد على أهميتها، وكان عليها مدار حياته وزبدة أفعاله. رُوي عن السيدة عائشة أن الرسول الكريم ﷺ لم يُخيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا أو شُبهة، فإنّه يكون أبعد الناس عنه (مسلم، كتاب الفضائل). وإن ذلك لهو النهج الأعلى والسبيل الأمثل الذي جعله الله تعالى للإنسان.

إن كثيرًا من الناس يحاولون أن يتقرّبوا إلى الله تعالى بالحرمان وتحمّل الآلام تطوّعًا منهم، والله يأبى ذلك. فليس رضا الله في الحرمان والعذاب، والفوز برضا الله لا يأتي عن طريق عذاب عبثي لا هدف منه، وحرمان للذّات لا فائدة منه إلا خداع الناس.

وهناك من البشر ممن ضعفت صفاتهم الخلقية، يحبّون أن يموّهوا بالتغطية على أخطائهم، ويريدون بتأثيرات وهمية أن يبدوا في عيون الآخرين كأنهم من أصحاب الفضائل وذَوي المكانة. أما النبيّ الأكرم ﷺ فكان هدفه هو نوال الفضيلة حقيقة، وبلوغ رضا الله فعلاً، والفوز بقرب الله سبحانه وتعالى، لذلك كان ﷺ خاليًا تمام الخلوّ من كل تظاهر وادّعاء.

وسواء عليه رأى الناس هذا الشيء حَسنًا أو رأوه سيئًا، فالأمر المهم عنده كيف يجده هو نفسه، وماذا يحسّ تجاهه من أعماقه، وكيف يحكم الله عليه. فإذا أضيف حكم الناس وتقديرهم إلى رضاه هو عن ضميره ورضا الله وقبوله، فإنه يشكرهم ويمتنّ لهم. ولكن إذا نظروا إليه بعين الإنكار أو الاشمئزاز، فإنه يأسف عليهم ولا يُلقي بالاً إلى رأيهم.

إن كثيرًا من الناس يحاولون أن يتقرّبوا إلى الله تعالى بالحرمان وتحمّل الآلام تطوّعًا منهم، والله يأبى ذلك. فليس رضا الله في الحرمان والعذاب، والفوز برضا الله لا يأتي عن طريق عذاب عبثي لا هدف منه، وحرمان للذّات لا فائدة منه إلا خداع الناس.

العام التاسع والتسعون على وفاة
مسيح الإسلام الموعود والسيد المهدي المعهود عليه السلام

نظم الأستاذ: فتحي عبد السلام (مصر)

على تسعة تسعون زادت وبرهنت ... على صدق مهدينا وهي في التزايد
كتبت قصيدي صادقا غير مُصرَد[١] ... ويأتيني حقا وصدقا: أحمدي
أفقت رويدا من غيابات غفلتي ... وإذ بالمليك الحي فوقي: معاهدي[٢]
يرحب بالعود الحميد مبشرا ... فيا عصبة الأحباب غني وغردي
وألبسني ثوبا من الفهم والهدى ... وألحقني بالدرس في خير معهد
وعرفني بالأحمدية فتية ... أراهم على الإسلام في كل مشهد
وقرآنهم قرآن كل موحد ... وتفسيره تفسير كل مجدد
فرائضهم[٣] خمس وخمس بناؤهم ... كما علم الجبريل أمة أحمد
وإيمانهم ست[٤] حسان تضافرت ... كما جاء في النص الصحيح المنضد
تراهم إذا صلوا كأن إلهنا ... بمرأى من القلب الشهيد المسهَّد[٥]
وقبلتهم نحو الحجاز وبكة ... ولا حج شرعي سوى كالمحمد
أرى مطاياهم إليها تدافعت ... ولبوا نداء الله حسب الموعد
يطوفون بالبيت العتيق تعبدا ... يقومون في عرفات مثل محمد
سوى ذاك لاتفت البرية فرية ... ألا أيها الغاوي فتب ثم اهتد
كفى هذه ردا على كل فرية ... إذا كذب المفتي فصوّت وعدد[٦]
فدعنا من المستنقعات ونتنها ... جميعا إلى بلد الإله الموحَّد
يقول لسان الحال قولا مؤيدا ... تعالوا لِلَذات الوجود الأسعد
أنا الأكرم الأغنى فتحت ضيافتي ... لمن جاء من داع، ومن كل ناشد
أنا الله رب العرش لارب غيره ... أنا أحد فرد ولست بوالد
وأخلق من زوج ومن غير والد ... إذا شئت: لا أخشى ولم أتردد
غرست أبوّتكم بفائض رحمتي ... وأعلنت للإنسان غاية مقصدي

أجـــيب وأعـــطي، أستجـيب وأحتـــفي ... وأكـــرم مـــن: يدعو ومـا عـــاد يعتدي
أنا الأجمـل الأجـــدى، أنا القدرة العلى ... أنـــا خـير مـــأمـول أنـــا روْح مجهد
أنـــا الـظـل في حـر الحـيـاة ويأسها ... ظليل مـع المـــاء الـنـقـي المـبرد
ومـــن يتق الـــرحمـــان يمنحه مخرجا ... إلى فسحة المحيا ومـــن ذلـــة اليد
زرعـــت[٧] إلى الجـنـات شوقا بتربة ... فضلت لـــدى أمـــثـال درس معقد
ومـــا تـربـة الإنـــســـان إلا فـــؤاده ... ومـــا تعد الدنيا ســوى شـر موعد
فـلا تـك سطحيا ولا تـأخـذ الـذي ... يـــذوب سريعا في يـديـك ويُفقد
ووعـــدى - إذا الإنسان ركز فكره - ... صـدوق صـــحيح، تحت سطح مُمرد
أرى جريه خـلـف[٨] الـسـراب معذبا ... وعندي حقـيقة ما يـــريد، فيعتـــدي
كـــلام وعـــيـت جمـالـه فـأقـامـني ... كما قـام مدهوش لـدى مستأسد[٩]
أفـقـت ويـاهـول الـــذي قـد رأيته ... ندمت على نومـي ومزقـت مرقـدي
فلن أخبط الـعـشـواء بعد بفكرة ... ولا بسـلـوك أو لسـاني أو يـدي
على ضـوء نـار الله في الليل سالكا ... على ضوء نور الله في الصبح أجتدي[١٠]
عـلـى الله ربي رب كـل مسرة ... عثرت أخيرا بعدمـا ذاب جـامـدي
رأيـت إلهـا منجما[١١]، مـلء بحره ... نضـار، فياللـحافـر[١٢] المتـوقد[١٣]
ومـا الله ينسـانا كنسـيان بعضنا ... وما هـان عنـد الله يـوم تـشـردي
فـقـررت أن ألـقـي لـديـه قصيدة ... بداية أواب منـيب مـهتـدي
أمـرغ وجهي في الـتـراب أمامكم ... فـقـد عـز مـغـبر بـأبـواب سيدي
أمـوت ولاأعـصـاك بـعـد: أقولها ... وإن تقبَلَـنـّي؛ أستـقيم وأعـبد
فأسـرع مشـتاقا بلوعـة عاشـق ... إلى نافخ في الـصـور، وقـت تعـبد
ينـادي عبيد الحق: حـيَّ[١٤] ، لتمثلوا ... فـإن مليك الـكـون جـاء لعابد
تَـهـجّدُ روحـي عند أقـدام عرشكم[١٥] ... ويسجد وجهي في زوايـا المسـاجد
وأنهـض لكن كـي أكـرر سجدتي ... وأثني على الأعلى الغـزير المحـامد
وتسجد من بعد الركوع صَـلايـتي[١٦] ... وإنْ أسجد السجـدات أرجعْ وأسجـدِ
سجودا يجر سجودَ جـِذري وأعمَـقي[١٧] ... ويـأمـرني بـالـصـالحـات الجيائد
أسبح ربي مـن مـعـابِ وظِنـّـَة ... ومـن كـل تفكير مريض وفـاسد
ومـن كـل مـا قـالـوا بجهل بفتنة ... ومـن كل عـابِ[١٨] ظنه ظـن ناقد

تعالى على النقد البصير علاؤكم ... وجن بكم حبا جنان الصامد[١٩]

تَسميت أسماءَ حسانا عميقة ... هي العطر إن أبغي العطور وأنشد

وأنقع روحي في بحيرات عنبر ... وأخلع همي في بلاد التودد

تغير قلبي فجأة نحو حبكم ... فياليت أمسي لايدوم إلى غدي

ويالِيتني أبقى على باب بابكم ... مقيما وأغرس فيه أظفار اليد

فإن تكتبوا يومي بقلبي مقالة ... من الحب والتزيين أبلغ وأرشد

وإن تعطني إذنا أغادر منازلا ... إلى منزل ترضى محلا لمولدي

خيالي تسلى اليوم بالفكر فيكم ... وفي يوم معراج لفرض التعبد

وفي أن خير اليوم ساعة سجدة ... وفي هول معنى: ما صلاة التهجد؟

فتحت لنا باب المثول بحضرة ... فياحسنه فتحا لفهم مسدَّد

مثول حقير الشأن ساعة سعده ... أمام مليك ماجد خير مورد

يقول مقالا لامثيل لطعمه ... ويشدو بحمد جاءه عن محمد

عليه صلاة الله ثم سلامه ... عليه.. صلاة إن تكن، تتجدد

إلهي وجدتك بعد ما ساء موقفي ... وسرت طويلا غافلا غير راشد

إلهي وجدتك لا أعود لما مضى ... من الموت والنسيان فاقبل قصائدي

ولا تتركن نفسي إذا طاش رشدها ... ولاتشمتن فيها عدوي وراصدي

(١) المصرد الخطأ. (٢) معاهدي : الراعي المتعاهد (٣) الفرائض هي الصلاة والبناء هو الإسلام بني على خمس.

(٤) بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر وقدره تعالى. (٥) المسهد اليقظ. (٦) صوت وعدد هو كالصراخ على الميت وتعديد مناقبه.

(٧) زرع الله فينا حب الجنة فطلبها الإنسان بجهل دون فهم لما يعتمل فيه .. والدنيا وكل مافيها مثل كبير جدا مضروب للفهم ووعي الغيب.

(٨) يسعى الناس خلف مايظنونه ماء الحياة والله هو ماء الحياة.

(٩) مستأسد: نبت طال وبلغ: كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه. أو كأرض خاشعة اهتزت للماء وربت بالنبت المتنامي.

(١٠) أجتدي أطلب الجدوى وأسأل الحاجة سواء للسائلين

(١١) المنجم عروق وخزائن في الأرض فيها ثروة طائلة ، البحر: ليس بحر الماء فقط بل أيضا الشق وعمق الرحم . ..

(١٢) الحافر: العبد المنقب عن الثروات .. والله هو ثروتنا. (١٣) والمتوقد: المضيء، ومن القلوب: السريع التوقد في النشاط والمضاء.

(١٤) حيّ أي على الصلاة والمجيء رفع الحجب أي السماح للمصلين بالوقوف أمامه معتبرين من ندائه حضورا خاصا فوق العادي

(١٥) ليس لعرش الله أقدام ولا هو مخلوق بل هي استعارة لجلال الله. (١٦) الصلاية الجبهة.

(١٧) أعمقي: سويداء قلب الإنسان ، والسجود يأمر بسجود أعمق شعورا حتى تصفو النفس لسجود حق.. الجيائد جمع جيد

(١٨) العاب والظنة والمعاب التهمة. (١٩) الصامد : القاصد والمناضل من أجل المعرفة

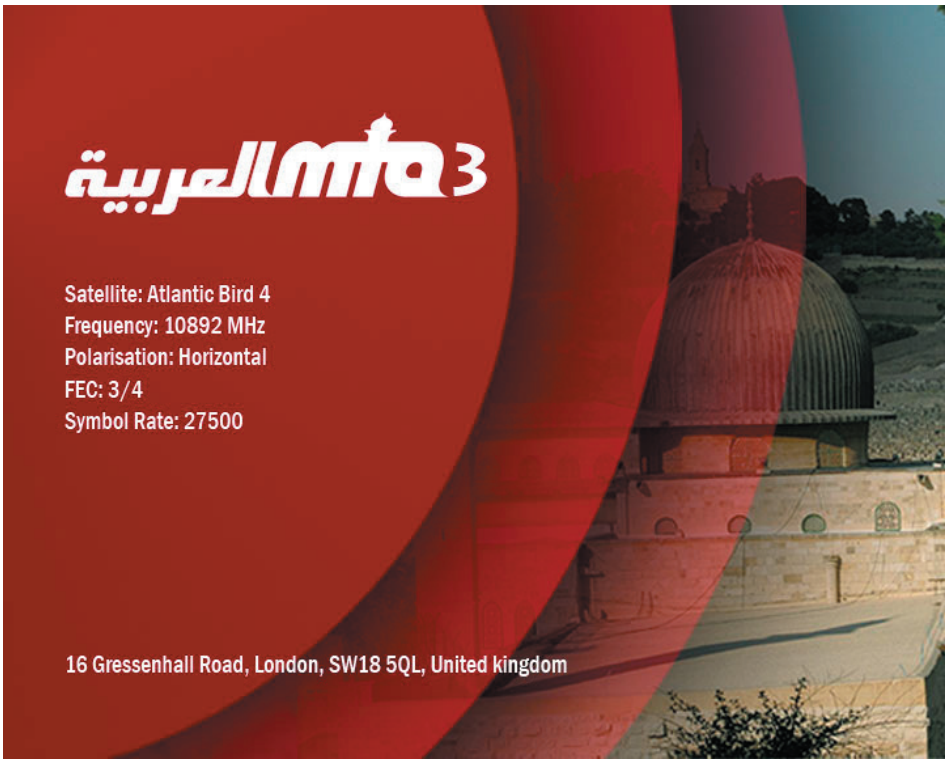
العربية mbc 3
Satellite: Atlantic Bird 4
Frequency: 10892 MHz
Polarisation: Horizontal
FEC: 3/4
Symbol Rate: 27500
16 Gressenhall Road, London, SW18 5QL, United kingdom

AL-TAQWA

Monthly Islamic Magazine / Vol. 20 - Issue 8, December 2007

الموقع العربي الرسمي للجماعة الإسلامية الأحمدية العالمية

http://www.islamahmadiyya.net